التأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة (الولاية) وأثرها على بعض المجتمعات الإسلامية

" دراسة تحليلية نقدية "

إعداد

د/ محمد محمود عبد الستار

مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب جامعة المنوفية

ملخص البحث باللغة العربية:

جاء مفهوم الخلافة في القرآن الكريم، على معنى الإعمار والسعي والإنابة، ولم يتطرق إلى أي مدلول سياسي. إلا أن بعض المذاهب والجماعات، قد أولت هذا المفهوم، ووظفته سياسيًا؛ لتحقيق أكبر قدر من المصلحة. وفي الفكر السياسي الشيعي، تمثل الولاية حجر الزاوية قديمًا؛ حيث تمثلت في ولاية عليٍّ بن أبي طالب– رضي الله عنه– وأبنائه من الأئمة، وفي العصر الوسيط، لاحظنا إرهاصات لنظرية ولاية الفقيه، عند الشيخ محمد بن مكي الجزيني، أما في العصر الحديث، فجاء المولى أحمد النراقي؛ ليقدم التأصيل الحقيقي لنظرية ولاية الفقيه، وفي العصر المعاصر، نقل الإمام الخميني، النظرية إلى حيز التطبيق العملي. وفي الفكر السياسي السني، نرى جماعة الإخوان، قد قدمت التأويلات الخاصة، بضرورة إقامة دولة الخلافة، ظهر ذلك؛ من خلال رؤية كل من حسن البنا، وسيد قطب. واتبعت الجماعة بعض الأساليب لنشر فكرة إقامتها. ومن الآثار السلبية للتأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة: انتشار الأفكار الرجعية مثل نظرية الحاكمية لله، وتشويه صورة الإسلام السمحة، وتفتيت الدول العربية والإسلامية، وأخيرا ربط الإسلام بالإرهاب، ومناهضة العالم لكل ما هو إسلامي، بعد قيام دولة الخلافة الإسلامية في العراق والشام "داعش" 2014م بوصفها نموذجًا فعليًّا على أرض الواقع.

Summary of the research:

The concept of reason came in the Holy Qur'an to mean reconstruction, striving, and delegation, and did not address any military connotation. However, some sects and groups have adopted this concept and employed it militarily to achieve a greater degree of infection. The stone of jurisprudence and the philosopher is prominent in the theory of guardianship of the jurist according to Sheikh Muhammad bin Makki al-Jazzini, as it is represented in the guardianship of Ali bin Abi Talib and his sons who are imams. In the Middle Ages, we noticed indications of the theory of guardianship of the jurist according to Sheikh Muhammad bin Makki al-Jazzini, but in the modern era came Mawla Ahmad. Al-Naraqi came to provide the true foundation of the theory of guardianship of the jurist, and in this contemporary era, Khomeini moved into the practical realm. In Sunni political thought, we see that the Brotherhood has presented interpretations regarding the necessity of establishing a caliphate state. This appeared through the vision of both Hassan al-Banna and Sayyid Qutb. The group followed some methods to spread the idea of establishing it. One of the negative effects of the wrong interpretations of the concept of the Caliphate is the establishment of the Islamic Caliphate State in Iraq and the Levant in 2014 AD, and its establishment led to bloodshed and the incitement of panic, terror, and terrorism in the places controlled by the organization.

المقدمة:

تُعدُّ قضية الخلافة، من أكثر القضايا الخلافية، التي ثار حولها صراع على مر التاريخ الإسلامي حتى عصرنا الحاضر، وقد أريقت بحور من الدماء في سبيلها، وهي من أخطر القضايا التي واجهت الرعيل الأول من الصحابة بعد وفاة النبي– صلى الله عليه وسلم– مباشرة؛ إذ إنه قبل أن يتم تشييع جثمانه الشريف إلى روضته، عُقد اجتماع في ثقيفة بني ساعدة؛ لاختيار الخليفة الأول لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإن دل ذلك على شيء؛ فإنما يدل على الأهمية القصوى لقضية الخلافة. وكان من الممكن أن يتم ذلك الأمر، دون نزاع أو صراع خفي أو ظاهر؛ فالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية على ظاهرها مؤكدة هذا الأمر، مثل قوله تعالى مخاطبا الملائكة: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...)** ([1]) وفي قوله تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)([2]) وعلى الرغم من وضوح مفهوم هذه الأيات وظاهريتها فإن غلبة النزعة القبلية والتنافس العنصري، قد تم توظيفها سياسيًّا وتحميلها تأويلات خاصة، لا تمت للمعنى الذي أنزلت من أجله بصلة، وتم تأويلها تأويلا خاطئا، يخدم مصالح فئة على فئة أخرى. فالمقصود من الآية الكريمة؛ أن الحق سبحانه، قد جعل في الأرض خليفة بهدف الإعمار والإنابة، والسعي فيها، والتنقيب عن ثرواتها، وحصدها؛ لخدمة البشر جميعا. إلا أن بعض الجماعات، التي تحولت إلى مذاهب فيما بعد، قد تناولوا الآية الكريمة، ببعض التأويلات الخاصة، وأصبحت هي حجر الزاوية في فكرهم ورؤاهم؛ لإقامة دولة الخلافة الإسلامية قديما وحديثا، سواء مع أصحاب المذهب الشيعي، أو مع أصحاب المذهب السني، أو من خلال الجماعات الجهادية المسلحة التي كرست فكرا خاطئا، مداه أن الرسول الكريم– صلى الله عليه وسلم– قد جمع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، وأنه بوصفه

[1]) سورة البقرة، آية 30.
[2]) سورة يونس، آية 14.

رسولًا وحاكمًا، لم يميز بينهما؛ فكان مبدأ السمع والطاعة في كل ما هو ديني، وكانت الشورى، والأخذ بالآراء، في كل ما هو دنيوي، وسياسي، وعمراني، بما يفيد أن قضية الخلافة، قضية دنيوية سياسية، أكثر منها دينية، ولهذا السبب؛ خلت النصوص الشرعية من إيضاحها بشيء من التفصيل، وذلك على الرغم من تأكيد النص القرآني، أنه- صلى الله عليه وسلم- جاء مبشرًا بدين جديد، يهدي الناس إلى سواء السبيل، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)** ([3]) وكذلك في قوله تعالى:**(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)**([4]) وأنه جاء؛ ليتمم مكارم الأخلاق التي سبقه إليها، رسل وأنبياء، ولم يختر لإقامة دولة أو خلافة سياسية.

وبالنظر في الفكر السياسي الشيعي؛ نجد أن قضية الولاية (الخلافة)، تعدُّ حجر الزاوية في فكرهم، بل أنهم جعلوها مبدأ عقديا؛ إذ ادعوا أن الإمامة في أبناء الإمام علي بن أبي طالب الحسن والحسين، ثم في نسل الحسين فقط. وتطور فكرهم؛ بظهور الإرهاصات الأولى لنظرية ولاية الفقيه، عند الشيخ محمد بن مكي الجزيني (ت: 786هـ)، ثم تطورت لنظرية ولاية الفقيه، عند المولى أحمد النراقي (ت: 1245هـ) لتمثل مرحلة التأصيل الحقيقي لها. ثم جاء الإمام الخميني (ت: 1989م)، لينتقل بولاية الفقيه من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق العملي، فهل نجح في ذلك، وطبق نظرية ولاية الفقيه عمليا؟ وما النتائج التي ترتبت على ذلك، سواء على الفرد أو على المجتمع؟ هذا ما سوف نتعرفه في ثنايا بحثنا.

أما في الفكر السياسي السني، فنجد جماعة الإخوان المسلمين، التي أسست عام 1928م، عقب انتهاء الخلافة العثمانية، في مارس 1924م، على يد حسن البنا (ت: 1949م)؛ حيث حاولت الجماعة -على لسان مرشدها الأول حسن البنا- تأويل بعض آيات الذكر الحكيم؛ لإقامة دولة الخلافة الإسلامية؛ حيث رأت الجماعة، أنهم

[3]) سورة الأحزاب، آية 45.
[4]) سورة الأنبياء، آية 107

جديرون بأن يكونوا بديلا للخلافة العثمانية، وقد ساعده على تحقيق مخططه وسائل المخابرات الاستعمارية، وذلك لتحقيق أغراض الصهيونية العالمية، فحسن البنا، يرى ضرورة عودة الخلافة، ولكن بالتدريج؛ حيث إن الظروف (ظروف عصره)، لم تكن سانحة لإقامة دولة الخلافة حينذاك. فهل نجح حسن البنا وجماعته في الوصول إلى هدفهم؟ هذا ما سوف نتعرفه من خلال البحث. وقد سار على نهجه سيد قطب؛ فكان مقتنعا بضرورة إقامة دولة الخلافة، ولكن بعد أن يتخلص من هذا المجتمع الجاهلي، الذي ينتشر فيه الكفر – (على حد زعمه) – ولو عن طريق انقلاب سلطوي شامل، يستطيع– من بعده– إقامة دولة الخلافة الإسلامية، على أسس دينية سليمة كما يعتقد. هذه الأفكار اعتنقتها بعض الدول السنية والمنظمات، ومن بينهم دولة تركيا، ومنظمة حماس، تحت ما يسمى عالمية الدعوة الإخوانية.

والدارس لفكر الجماعات الجهادية التكفيرية المسلحة؛ يجد أن الأساس الفكري والأيديولوجي لها، هو آراء سيد قطب، وأبي الأعلى المودودي، وحسن الندوي، وبالتالي؛ نجد أن الإطار المرجعي لجميع هذه الجماعات الجهادية، هي أفكار جماعة الإخوان المسلمين، وبناء على التأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة، قامت الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، وأصبح الخليفة هو "أبا بكر البغدادي" وتلقى البيعة من أهل الحل والعقد، في مكان إقامته هو وتنظيمه، ثم توالت البيعات من أماكن وجود التنظيم في بعض الأقطار المختلفة، كما حدث في الجزائر من قبل، وها هو يحدث الآن في السودان. ولقد ذاق الشعب الإسلامي ويلات هذه الجماعات، وهذه التنظيمات، التي تقوم– في الأساس– على سفك الدماء، واعتماد الإرهاب منهجًا دائمًا لهم، ناهيك عن عمليات السلب والنهب، التي ترتكب باسم إقامة دولة الخلافة الإسلامية، والإسلام منهم براء.

أسباب اختيار الموضوع وأهدافه:

أما عن سبب اختياري لهذا الموضوع؛ فهو رغبتي في إزالة اللغط المثار حول قضية الخلافة، وكشف حقيقتها؛ بأن الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، أكد أن مفهوم الخلافة، هو إعمار الأرض، والسعي في مناكبها، وحصد ثرواتها. وأن المفهوم السياسي للخلافة، كان مفهومًا بشريًّا خالصًا، تم تأويله من بعض المذاهب والجماعات، وفق مصالهم الشخصية، وتحقيق أغراضهم النفعية. كما أوضح مدى التأثير السلبي للمفهوم الخاطيء للخلافة على بعض المجتمعات الإسلامية، ونشره باسم الدين، والدين برئ من ذلك.

الإشكالية:

تتمثل إشكالية البحث؛ في الإجابة عن التساؤل الآتي: كان للتأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة آثار خطيرة على المجتمعات الإسلامية: إلى أي مدى، حققت تلك التأويلات نجاحا وتقدما في المجتمعات التي طبقتها عمليا؟

المنهج:

سوف ألتزم في بحثي المنهج التحليلي؛ لما يقتضيه من تحليل دقيق، وتأمل للأبعاد والمعاني والنصوص التي تتناول- بشكل مباشر أو غير مباشر- أبعاد المشكلة البحثية. كما سأستخدم المنهج النقدي، الذي سوف يساعدني؛ على أن أقف على الجوانب الإيجابية أو السلبية، بصورة موضوعية، تساعد على إخراج البحث في أفضل صورة. كما سأستخدم المنهج التاريخي؛ لما أحتاجه من الترتيب الزمني للأحداث، واستعراض وبيان لآراء المفكرين والكتاب السابقين، وقد ألجأ- في بعض المناظرات- إلى استخدام منهج المقارنة؛ لإيضاح الرؤية.

وعلى ذلك، جاء هذا البحث، متضمنا مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

أما **المبحث الأول:** فهو بعنوان: التأسيس الإبستمولوجي لمفهوم الخلافة (الولاية)، ناقشت فيه أولًا: مفهوم الخلافة في القرآن الكريم، ثانيًا: مفهوم الخلافة ومدلولاتها السياسية.

أما **المبحث الثاني:** فهو بعنوان: تأويل مفهوم الولاية سياسيًّا عند الشيعة، ناقشت فيه أولا: مفهوم الولاية عند الشيعة (عصر الدولة الأموية)، ثانيًا: مفهوم الولاية عند الشيعة، في الدولة العباسية حتى سقوطها، ثالثا: تطور مفهوم ولاية الفقيه في الفكر الشيعي الحديث (أحمد النراقي 1882م)، رابعا: تطور تأويل نظرية ولاية الفقيه في العصر الحاضر، عند الإمام الخميني ت: 1989م ومن جاء بعده

أما **المبحث الثالث:** فهو بعنوان: تأويل مفهوم الخلافة سياسيًّا عند جماعة الإخوان المسلمين، ناقشت فيه، أولا: مفهوم الخلافة عند جماعة الإخوان المسلمين؛ من خلال 1- مفهوم الخلافة في فكر حسن البنا 2- مفهوم الخلافة في فكر سيد قطب، ثانيا: أساليب جماعة الإخوان لإقامة دولة الخلافة، ومنها 1- محاولة إقناع العامة، بأن الجماعة، هي من تملك الحقيقة وحدها، 2- البيعة، 3- الاعتقاد في عالمية الدعوة الإخوانية.

أما المبحث الرابع: فهو بعنوان: الآثار السلبية للتأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة في العصر الحاضر وناقشت فيه، أولا: انتشار الأفكار الرجعية، مثل (نظرية الحاكمية لله)، ثانيا: تشويه صورة الإسلام السمحة، ثالثًا: تفتيت الدول العربية والإسلامية، رابعًا: ربط الإسلام بالإرهاب، ومناهضة العالم لكل ما هو إسلامي (قيام منظمات إرهابية: داعش).

وأخيرا، تأتي النتائج التي تم التوصل إليها من هذا البحث.

المبحث الأول: التأسيس الإبستمولوجي لمفهوم الخلافة (الولاية):

أولًا: مفهوم الخلافة في القرآن الكريم:

لم يترك القرآن الكريمُ من شيء، إلا وقد ناقشه ووضَّحه، واعتنى به، وبيَّن للنبي– صلى الله عليه وسلم– أركانه، وأحكامه، وكيفية استخدامه. وبالتالي، فإننا في مناقشة قضية الخلافة في القرآن الكريم؛ نجد أنها قد تم مناقشتها مناقشة وافية وشافية، كما هو موضح في بعض الآيات الكريمة من الذكر الحكيم. وقد جاء الاستخلاف في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع كما يأتي:

النوع الأول: استخلاف العقل:

استخلاف العقل، كناية عن استخلاف الإنسان، الذي ميَّزه الله سبحانه وتعالى بالعقل، فقد ميَّزه الحق سبحانه وتعالى، عن باقي المخلوقات في السموات والأرض، وجاء ذلك واضحا وجليا في قوله تعالى:(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) ([5]). واستخلاف العقل أي قوم يخلف بعضهم بعضا، قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل([6]) كما في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ...) ([7]) أما في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ([8]) فليس المقصود بالخليفة هنا سيدنا أدم فقط وإنما المقصود هو ذلك الجنس البشري الذي يتكاثر ويتوالد جيلا بعد جيل ([9]).

---

[5]) سورة الإسراء، أية 70

[6]) الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ج1، ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1997، ص 216

[7]) سورة فاطر، أية 39

[8]) سورة البقرة، آية 30.

[9]) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 216.

النوع الثاني: استخلاف الطاعة لقوم أو جماعة معينة:

في مواضع عديدة من القرآن الكريم، تم ذكر شرط الطاعة والإذعان لرب العالمين؛ ليكونوا خلائف في الأرض، مثل قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ([10]) أي أن شرط الخلافة والاستمرار في الكون الذي سخره الله للإنسان؛ هو الإيمان بالله، والعمل الصالح، وإلا سوف يتم استبدال قوم مكان قوم، أو جماعة مكان جماعة، وظهر ذلك جليًّا في قوله تعالى: (...وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم) ([11]). ومن الأمثلة الواضحة على ذلك الاستبدال، نجد في قوله تعالى، بشأن قوم نوح عليه السلام: (فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ...) ([12]) أما بشأن قوم عاد، فقال تعالى: (... وَٱذْكُرُوٓاْ إِذ جَعَلَكُم خُلَفَآءَ مِن بَعدِ قَومِ نُوحٖ وَزَادَكُم فِى ٱلْخَلقِ بَصطَةٗۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ) ([13]) إلى آخره من الآيات التي تجعل الطاعة لله سبحانه، شرطا لخلافة الإنسان في الأرض والسعي فيها.

النوع الثالث: خلافة القيادة الروحية:

ويتضح ذلك جليًّا في قوله تعالى: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...) ([14]) ويوصي الحق سبحانه وتعالى سيدنا داود، بعد أن قتل جالوت، وأخذ ملكه، وأصبح هو من بيده الأمر؛ أن يحكم بين الناس بالحق والعدل، ولا ينفك الحكم الرشيد – بأي حال من الأحوال– عن الحكمة. والوصية هنا لسيدنا داود، لم تكن لأنه خليفة بالمعنى السياسي، كما فهم بعض المفسرين، وتأولوها تأويلا خاطئا؛ وذلك لأن الحق سبحانه أتى بلفظ الحكم ولم يأتِ بلفظ الخلافة، فالنبي داود، قد أتاه الله الحكم والنبوة، واشترط

[10]) سورة يونس، آية 14.
[11]) سورة محمد، آية 38.
[12]) سورة يونس، آية 73.
[13]) سورة الأعراف، آية 69.
[14]) سورة ص، آية 26.

عليه ثلاثًا: لا يشترون به ثمنا قليلا، ولا يتبعون فيه الهوى، ولا يخشون في الله لومة لائم ([15]).

وإذا حاولنا تحليل هذا المفهوم، الذي جاء به القرآن تحليلا إبستمولوجيا؛ نجد أن خلافة العقل هي الخلافة التي حملها الله للإنسان، هي الخلافة الأساسية لوجود الإنسان؛ حيث استعملها القرآن الكريم بالمفهوم الشامل. فهذه المهمة، هي مهمة عمارة الأرض، والسعي فيها، وأعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان، الأداة التي سوف تساعده في مهمته الأزلية، وهي العقل، وحدَّد الحق سبحانه وتعالى هذه المهمة بصورة مباشرة في القرآن الكريم في قوله تعالى: **(هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ)** ([16]) والاستعمار في الأرض؛ أي جعل الإنسان خليفة للاستعمار في الأرض يجد، ويجتهد، ويزرع، ويحصد، ويصنع، ويتاجر لإعمار الأرض، واستغلال ما فيها من ثروات وخير ([17]).

والخليفة الذي اختاره الحق، وخلقه؛ ليكون نائبا له على البسيطة؛ هو الإنسان على وجه التحديد والتخصيص، وعلى ذلك يمكن أن نطلق على الخلافة؛ أنها اختصاص للإنسان، عن باقي مخلوقات الله ومن الطبيعي أن يكون الإنسان، هو آخر من ظهر على وجه الأرض، بعد أن خلقها الله، وخلق فيها كل مقومات الحياة، وخلق المخلوقات الأخرى؛ لخدمة الإنسان، ولم يكن الأمر – أمر الخلافة – مقصورًا على سيدنا آدم عليه السلام فقط؛ بوصفه الخليفة الأول للحق سبحانه، وإنما شاركه أبناؤه في حمل أمانة الخلافة، وأنه لأمر جل عظيم ([18]).

---

[15]) المصدر نفسه، ج5، ص 356

[16]) سورة هود، آية 61.

[17]) المصدر نفسه، ج5، ص 356.

[18]) محمد حسين الطبطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص ص 115، 116 مستل من:
https://madrasatalwahy.org/Document/Book/Details/10113/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%B2%D8%A7%D9%86-%D8%AC1?page=116

إذن الخلافة هبة من الحق سبحانه وتعالى، جعلها في عنق سيدنا آدم، وفي أعناق ذريته من بعده وهي غير مشروطة بشرط الطاعة فالبشرية جميعها، موكل إليها أمر الخلافة، سواء كان الإنسان صاحب عقيدة، أو لا، أو صاحب ديانة وضعية أم سماوية، صاحب بشرة سمراء أو بيضاء، أو صاحب جنس محدد. أما الشرط الأساسي للخلافة؛ فهو أن يكون المستخلف إنسانًا عاقلًا فقط، دون النظر إلى دينه أو لونه أو جنسه، على الرغم من أن الحق سبحانه وتعالى، قد حدد مهمة الإنسان في الكون، وهي العبادة بمفهومها الروحاني والعملي، والذي يقود الإنسان- حتما- إلى الإيمان والإخلاص في العبادة والعمل.

ولم تثر مشكلة الخلافة في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإنما أثيرت همسا وعلى استحياء بعد وفاته، وبالتالي تحتم على المسلمين؛ اللجوء إلى التجديد والاجتهاد، فيما يتعلق بشكل الحكم وطبيعته، التي لم يتطرق إليها القرآن الكريم، لا من قريب ولا من بعيد ([19]).

الحقيقة الجلية الواضحة في القرآن الكريم؛ أن الله قد عهد للإنسان، مهمة التعمير والإصلاح في الأرض؛ فلا يفسد فيها، ودعا أيضا إلى فكرة التعايش السلمي مع الآخر، على الرغم من الاختلاف، فلا يسفك الدماء، بجانب أن يتعبد بكلام الله كما هي الملائكة؛ وبالتالي لم يعطنا القرآن الكريم دلالة جديدة إلى لفظ الخلافة إلى الآن، وعلى ذلك فالخلافة في القرآن الكريم، مدلولها واضح وصريح، وهو عمارة الأرض، والسعي في مناكبها، وبهذا تكون الغاية النهائية؛ هي الإصلاح في الكون، والسيادة عليه، وليس الفساد فيه مصداقا لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) ([20]) أي سافروا حيث شئتم من أقطارها، واسعوا في أقاليمها وأرجائها؛ بالعمل والكفاح، والاستكشاف؛ ليكتب الله لكم نصيبكم

[19]) نزيه ت. الأيوبي: الإسلام السياسي "الدين والدولة في العالم العربي" ترجمة: محمد كمال، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2020 ، ص 35 .

[20]) سورة الملك، آية 15.

من أرزاقكم، من أنواع المكاسب، والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا، لا أن ييسره الله لكم؛ ولهذا قال: (فَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ)؛ فالسعي يكون بالأخذ بالأسباب، والتوكل على الله في جميع الأعمال، لا بالتواكل، والتكاسل، وعدم السعي.([21]).

وعندما قال الحق سبحانه وتعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)؛ اعتقد الملائكة أنهم أحق بخلافة الله في الأرض؛ لأنهم أهل لها؛ بما يفعلون من العبادة، سواء بالتسبيح، أو التقديس، أو طاعة الأمر، دون جدال أو نقاش، إلا أن الحق سبحانه وتعالى، قد كشف لهم أنها مهمه التعايش في الأرض، والكد، والعمل، والجد، والكدح، والبناء، والتعمير، مهام لا يقوم بها إلا من كان مخلوقا من الأرض، مصداقا لقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ) ([22]) فهذه المهمة ،منوطة بمن كان أصله الطين والتراب والماء. وإذا كان الملائكة قد خلقوا للتسبيح، والتقديس، والطاعة، فإن آدم وذريته قد خلقوا لخلافة الله في الأرض، وهذه الخلافة، هي العبادة الحقيقية لبني آدم أجمعين.

يقودنا هذا التحليل الإبستمولوجي لمفهوم الخلافة؛ إلى أن القرآن الكريم– في معظم آياته– قد اقتصر بالنسبه لمفهوم الخلافة، على معنى الإنابة، والتغيير، والتعمير، ولم يتطرق في أي موضع من المواضع الشريفة، إلى أن الخلافة معناها الحكم، أو السلطان، أو الملك، أو الإمارة، وعندما أراد الحق أن يتحدث عن الملك أو السلطان؛ جاء بلفظ الملك بصورة مباشرة وصريحة، كحديث القرآن عن ملك سيدنا سليمان على سبيل المثال لا الحصر. وبالتالي لا يوجد في القرآن الكريم مفهومٌ شرعيٌّ جديدٌ في الاستعمال القرآني للخلافة تماما، وهي بعيدة عن التكليف، ولم يستعمل معها أيًّا من أفعال الأمر، أو النهي، مثل الصلاة مثلا؛ بما يقودنا إلى القول إنه ليس

[21]) ابن كثير: ج 8، ص 179.
[22]) سورة المؤمنون، آية 12.

للخلافة أية دعائم شرعية، للقتال على إقامتها، وإنما لجأ بعض المغرضين، إلى تأويل هذا المفهوم تأويلا خاطئا؛ ليشمل أبعادا سياسية لتحقيق مصالح ذاتية.

ثانيا مفهوم الخلافة ومدلولاتها السياسية:

أشرنا سابقا إلى المدلول الإبستمولوجي القرآني لمفهوم الخلافة، لكن تطور الأحداث في الجزيرة العربية؛ جعل هذا المفهوم يتخذ أبعادا خطيرة، كان أخطرها الأبعاد السياسية، المرتبطة بتأويلات دينية خطيرة؛ لإكسابها قدسية سماوية؛ مما كان له خطره على المجتمعات الإسلامية فيما بعد، وكان الأخطر هو شيوع التساؤل حول طبيعة الخلافة دينيًّا، وهل الخلافة فريضه شرعية، أم أنها اجتهاد فردي بشري؟ هل هي عقيدة دينية، لا غنى عنها؛ بمعنى أن تدين المجتمع، لا يكون إلا بها، أم أنها تجربة تاريخية خاضعة لضرورات ومصالح الاجتماع الإنساني المتطور، وعلى مر الزمان؟ هل الخلافة معطى إلهي مقدس، منصوص عليه في الكتاب والسنة، أم أنه منتج بشري، يخضع للتطور التاريخي؟

التوظيف السياسي لبعض آيات الذكر الحكيم:

جاء تأويل بعض النصوص القرآنية؛ لينم عن توظيف مفهوم الخلافة سياسيا؛ وذلك لتحصيل أكبر قدر من المصالح الشخصية. وقد حدث ذلك طوال التاريخ الإسلامي، بداية من اجتماع ثقيفة بني ساعدة، وحتى عصرنا الحاضر، هذا مع الأخذ في الاعتبار القاعدة الأساسية، التي توصل إليها أصحاب القرائح السليمة، وهي أن مفهوم الخلافة من الناحية السياسية، لم يأت به القرآن لا من قريب ولا من بعيد. ([23])

وعلى الرغم من ذلك، فقد تم توظيف الآية الكريمة: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)**، نجد أنه قد تم توظيفها توظيفا سياسيا، لدرجة أن معظم المذاهب والجماعات

[23]) عبد الباسط سلامة هيكل: مفهوم الخلافة في القرآن الكريم وسلطة المفسر، بحث منشور على موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود، مؤسسه دراسات وأبحاث، بحث عام، قسم الدراسات الدينية، 21 يونيو 2016، ص 4

المختلفة، اعتبرتها حجر الزاوية الأصيل في نصب إمام، أو خليفة، أو أمير، أو سلطان، يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به الأحكام. بل إنهم عززوا هذا المبدأ، بالعديد من النصوص القرآنية، كقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ....)**[24] كما يستدلون على ذلك؛ بأن أبا بكر الصديق، عندما حضرته الوفاة؛ عهد إلى سيدنا عمر بالإمامة، ولم يعترض عليه أحد، أو يقول له هذا أمر غير واجب علينا ولا عليك، وبالتالي يدل ذلك؛ على وجوبها، وأنها من أركان الدين الذي به قوام المسلمين.([25]) وأكبر الظن أن هذا التفسير، له من أبعاده السياسية الخطيرة، سواء على المذهب السني، أو المذهب الشيعي؛ حيث رفع الخلافة أو الولاية إلى منزلة سامية، يمكن من خلالها، أن تكون ركنًا أساسيًّا من أركان الدين، ومن هنا استطاعت بعض الأقلام المعاصرة، أن توظف مثل هذه التفسيرات سياسيًّا لتحقيق النصيب الأكبر من المصلحة، مع خطورة ربط السياسة بالدين؛ لاكتسابها قدسية سماوية لا يمكن مقاومتها.

إن بداية تشكيل مصطلح الخلافة بوصفها مفهوما سياسيا، ظهر على مسرح أحداث الحضارة الإسلامية، من خلال أدبيات سياسية، كنصائح للحكام، مثل ابن المقفع ت: 142هـ وذلك عندما كانت الحضارة الإسلامية في عنفوان شبابها، ولم تظهر بوصفها نظريات سياسية، إلا بعد أن دب الضعف والصراع في إمارات وبلدان الدولة الإسلامية، ومع توالي سقوط الخلافات الأموية والعباسية، ومنذ القرن الخامس الهجري، مع كل من الموارديت: 450 هـ، ومن بعده الغزالي ت: 505 هـ وابن جماعة ت: 732 هـ إلا أن العجيب أن هذا المفهوم السياسي للخلافه، قد اندثر، ولم يعد يستخدم في الأدبيات السياسية، ولم يعد إلى مسرح الأحداث، إلا في القرن الثامن

[24]) سورة النساء، آية 59.

[25]) أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج1، ت: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، بمشاركة محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006، ص 396

عشر، عندما تحولت الخلافة العثمانية بعد ضعفها، من سلطنة إلى خلافة، وكان لابد أن تتأثر بالعالم الغربي، الذي حدد مفهوم الدولة، وفصل الدين عن الدولة، والليبرالية، والتنوير، كان لابد للعالم الإسلامي، بعد سقوط الخلافة العثمانية، أن تظهر فيه آثار هذا القول السياسي والعلمي، وينفض عنه غبار الخلافة الإسلامية، ويكون دولا لها مفهوم سياسي، يعتمد الدستور والقانون، بعد انتشار النهضة، وتصاعد الرأسمالية، والفردانية، فمن الطبيعي ألا نجد مثل هذا المفهوم في الفكر الإسلامي قبل العصر الحديث.([26])

التوظيف السياسي لبعض النصوص، جاء نتيجة أن النص الحركي الإسلامي بكل تجلياته، اعتمد –ولفترة طويلة جدا– على منهج "التنزيل" و"التأصيل"، الذي يفضي إلى استنباط الأحكام بصورة مباشرة من القرآن الكريم بصورة آلية، وذلك من خلال قراءة النصوص الدينية، وتأويلها تأويلا يتماشى مع التوظيف السياسي لها، وأقوى مثال على ذلك؛ هو الإجابة عن السؤال التالي: هل مرتكب الكبيرة كافر أم مؤمن؟ الحقيقة أن السؤال ليس من حق أي إنسان أن يسأله؛ لأنه يتعلق بالحكم على من ارتكب ذنبا صغر أم كبر؛ فهذا الأمر لا يمكن الحكم به من قبل البشر؛ لأنه متعلق بالإرادة والمشيئة الإلهية. ولا شك أن هذا الخلط بين المباديء الإيمانية الاعتقادية، والأمور الحياتية للبشر، والإسراف في الحكم على الأمور الحياتية اليومية، بالكفر أو الإيمان، والحلال والحرام، هو الذي أدى إلى احتدام هذه الصراعات والانقسامات إلى طوائف وفرق ومذاهب. ويمكن إعادته كالآتي: هل المنتمي إلى فريق سيدنا علي بن أبي طالب–رضي الله عنه– والمنتمي إلى فريق سيدنا معاوية بن أبي سفيان– رضي الله عنه– كافر أم مؤمن؟ فجاء التوظيف السياسي لموقف كل من مع

[26]) نزيه ت. الأيوبي: الإسلام السياسي، ص 43.

خلافة علي بن أبي طالب، وخلافة معاوية بن أبي سفيان، في أنهما في منزلة بين المنزلتين، وهذا هو قمة توظيف الدين لصالح السياسة. ([27])

إن كل ما هو متعلق بالخلافة في القرآن الكريم من الناحية السياسية، لم يعرض له القرآن بنص أو تفصيل؛ وبالتالي علينا أن نجعل الاحتكام في هذه المسألة للاجتهاد والرأي، وأن يكون المعيار والهدف من الناحية الأيديولوجية، هما مصلحة الأمة، ودفع المضرة المحتملة عنها، على أن يكون ذلك كله، في إطار الوصايا العامة والقواعد الكلية التي حددها النص القرآني؛ عندما دعا إلى العدل والشورى، ونهى وحذَّر من الضرر والضرار. ([28])

وعلى ذلك، جاء الفهم الصحيح للخلافة من الرعيل الأول من الصحابة، الذين كانوا ينظرون إليها على أنها صفة أخلاقية وليست نظاما سياسيا، وهي تتحقق في الحاكم؛ عندما يلتزم بالعدل، وإقامة الشريعة الإسلامية، والنيابة عن الأمة، وتتلاشى؛ عندما يمارس الحاكم الظلم والطغيان والاستبداد، وبهذا يستحق الإنسان أن يكون بالفعل خليفة الله على الأرض. ([29])

تكمن خطورة منهج التنزيل والتأصيل؛ في أنه يؤدي إلى إخراج النص عن سياقه، ويتم توظيفه بصورة تتماشى مع مقتضيات العصر؛ لتحقيق أكبر قدر من المصلحة. وبالتالي يقوده إلى غير ما أنزل فيه، وبما يجعل تأويله مغايرا تماما لمعناه الأصلي، أو المعنى المقصود من النص، هذا– بالتأكيد– يؤدي إلى فساد المعنى، فبدلا من أن يؤدي التأويل إلى المعنى الصحيح، الذي يحقق المصالح المرسلة للبشر، ويتفق مع المبدأ الفقهي "لا ضرر ولا ضرار"، يؤدي إلى المعنى المضاد، كما يؤدي هذا المنهج؛ إلى تعميق التوظيف السياسي للنص، كما يقود إلى التعصب المذهبي، وتعطيل العقل

[27]) Nader Albert : La systeme philosophique des mu'tazila ,Paris, 1956, P. 323.

[28]) محمد عمارة: الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1988 ،ص 17

[29]) أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي السني نحو خلافة ديمقراطية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2008، ص 293.

تماما؛ مما يؤدي إلى استسهال الاجتهاد، والذي أصبح بالفعل في هذا المنهج معطلًا، بالإضافة إلى عدم قبول الآخر، ويجرنا إلى سيل من الاتهامات؛ تؤدي بنا إلى تكفير فصيل لفصيل آخر، فالانتقائية منهج فاسد، يؤدي إلى الفرقة والصراع والتناحر.([30])

وهذا المنهج هو ما يتم اتباعه في قضية الخلافة؛ حيث جعلها التوظيف السياسي منتجًا إلهيًّا، على حين أنها منتج بشري في المقام الأول، وهو يتأرجح بين المفهوم الديني، والمفهوم الدنيوي، وتم توظيفه سياسيا؛ بما يضمن تحقيق أقصى مصلحة على الإطلاق.

الثابت تاريخيا، أن الرسول– صلى الله عليه وسلم– لم يبين أمر الخلافة بوضوح، فالرسول في أثناء حياته الشريفة لم يعين أو يترك نصا واضحا جليا، على تعيين أحد؛ ليكون هو خليفته بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، كذلك الأمر لم يبين الطريقة التي ينتقل بها الاستخلاف، ولم يحدد شروطا لا عامة ولا خاصة، يجب أن تكون في الخليفة من بعده... إلى آخره، من الأمور الخاصة بالحكم، وإنما وضع قواعد عامة وبيَّن المثل الأخلاقية، وترك الأمر شورى بين المسلمين كافة. ([31])

والحقيقة البالغة الأهمية، أن الخلافة– التي ترادف الإمامة أو الولاية– هي ذلك النظام السياسي الذي اتفق المسلمون على إقامته، وترسيخ قواعده، ترسيخا أبهر العالم في ذلك التجمع الإسلامي الأول من نوعه، والأهم في تاريخ الاسلام على الإطلاق، وهو اجتماع ثقيفة بني ساعدة، الذي أنتج نظاما سياسيا جديدا للحكم، بالطبع كان بشريا وليس إلهيا. ([32])

والرسول الكريم، قد جمع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية؛ لأن الرسول جمع بين السلطتين بوصفه رسولًا وبوصفه حاكمًا، إلا أنه قد ميز بينهما؛ فكان مبدأ السمع

---

[30]) محمد عمارة: الدولة الإسلامية، ص268.

[31]) صلاح الدين محمد نوار: نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني، منشأه المعارف، الإسكندرية، 1996، ص ص7، 8.

[32]) المرجع نفسه، ص 10.

والطاعة وإسقاط التدبير في كل ما هو ديني، وكانت الشورى، والأخذ بالآراء في كل ما هو دنيوي وسياسي وعمراني، ومن هذه الحيثية فإن الخلافة مسألة دنيوية سياسية أكثر منها دينية، صحيح أنها تستند إلى مبادئ أولية، تحكم الأنظمة السياسية المختلفة كمبدأ المساواة والعدل والبيعة والرضا والاختيار وهي مباديء وأسس لا تتغير ،ولهذا السبب؛ خلت النصوص الشرعية من إيضاحها بشيء من التفصيل، والأكثر من ذلك، أن الرسول– صلى الله عليه وسلم، لم يبينها، مع حرصه –كل الحرص– على بيان أوامر الله ونواهيه، بالنسبة لكل ما هو ديني.([33]) وفقا لقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)([34])**.

ومن الغني عن البيان، أن بعض الأقلام، قد نسبت مفهوم الخلافة بوصفه نظامًا للحكم القائم على تنفيذ الشريعة، وتحقيق المناخ الاجتماعي، الذي تتحقق فيه العدالة، ويوفر للإنسان طرق الحياة الكريمة، وفقا لتعاليم الشرع. وبالتالي تكون الغاية الأساسية من قيام الخلافة؛ هي إيجاد الجهاز السياسي، الذي يحقق وحدة الأمة الإسلامية، وتعاون أفرادها. ([35]) لكن هذه الغاية أخذت ذريعة، لتحقيق مصالح شخصية لبعض الكيانات السياسية، التي انتمت إلى الإسلام، سواء على مستوى الدول، ذات المذهب الشيعي، أو على مستوى الدول ذات المذهب السني، أو من خلال بعض الجماعات. فهل استطاعت الدول ذات المذهب الشيعي، تحقيق مصالحها من وراء مفهوم الخلافة أو الولاية؟ هذا ما سوف نتعرفه في المبحث القادم.

---

[33]) مصطفى حلمي: نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص 447.

[34]) سبق تخريج الآية الكريمة.

[35]) المرجع نفسه، (المقدمة) ص ص 3، 4.

المبحث الثاني: تأويل مفهوم الولاية سياسيا عند الشيعة:

رأينا في المبحث السابق أن القرآن الكريم، لم يأتنا بنص شافٍ كافٍ في موضوع الخلافة، أو الولاية بالمعنى السياسي، وقد اقتصر مفهوم الخلافة في القرآن الكريم، على إعمار الأرض، والسعي في مناكبها، إلا أن بعض المفكرين في عصور مختلفة، قد أضفوا على مفهوم الخلافة، بعض المدلولات السياسية الخاصة، التي تتفق مع مصالحها الخاصة، دون النظر لأية اعتبارات أخرى، سواء على المستوى الفردي، أو المستوى الجماعي، أو ما نطلق عليه الصالح العام. ورأينا أيضا أن النبي– صلى الله عليه وسلم– جمع بين السلطتين الدينية والسياسية؛ بوصفه رسولا، فكان مبدأ السمع والطاعة، فيما يخص الجوانب الدينية وكانت الشورى والرأي فيما يخص السياسة والإعمار؛ وبالتالي توصلنا إلى أن مفهوم الخلافة بالمعنى الديني وهو العبادة، والإعمار، والسعي، إنما هو مفهوم إلهي، بينما المفهوم السياسي للخلافة، هو منتج بشري خالص، تم توظيفه؛ للوصول إلى أقصى درجات المصلحة. وقد تبنت هذا المفهوم بعض المذاهب والجماعات، وطورته سياسيًّا، واتخذت من الخلافة أو الولاية، الأساس الذي بنت عليه أطماعها السياسية، ومن بين هذه المذاهب الجماعة الشيعية. وقد تطور مفهوم الولاية عند الجماعات والفرق وخاصة الشيعة الاثنى عشرية، التي شطحت في تأويلاتها الخاطئة، البعيدة عن المفهوم السني بدرجة كبيرة وانقسمت أيضا فرقا ومذاهب وأشياعًا.

أولا: مفهوم الولاية عند الشيعة (عصر الدولة الأموية):

تعد فكرة الولاية، هي المحور الأساسي، الذي ترتكز عليه العقيدة الشيعية، ففي نظام الحكم، والولاية الحقيقيه عندهم، هي خلافة عن الله، سواء كان المستخلف نبيًّا، أو وصيًّا، أو إمامًا؛ لأن جميع ما يحوزونه عن النبي المرسل، قد يحوز مثله على الوصي، أو الإمام، ويرفع الشيعة الولاية؛ لأن تكون ركنا أساسيا من أركان العقيدة الإسلامية، والإمامة كالنبوة، هي المصدر الأساسي والنهائي عند الشيعة للحصول

على المعرفة، وبالتالي فباب الوحي والعلم، لم يغلق بوفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وإنما هو مستمر في الولاة المتوارثين للحكم إلى الإمام الثاني عشر، وهم يرون أن هذا التأويل، يتفق مع فهم العامة من الناس؛ إذ لا يتصورون أنهم قادرون على حكم أنفسهم، واختيار من يتولى أمورهم، دون تواصل إلهي، وهذا ما استغله مفكرو الشيعة، واستثمروه في ولاية الفقهاء الدينية والسياسية.([36])

إذن الولاية قديما، تتمحور حول أن الإمام علي بن أبي طالب–رضي الله عنه– هو وحده مصدر المعرفة من بعد النبي–صلى الله عليه وسلم– وهو المنوط بالحكم والخلافة من بعده أيضا؛ لأنه يتلقى المعرفة عن الله سبحانه وتعالى، ولم يقتصر الأمر على ذلك الحد، وإنما أصبحت الولاية حكرا على أولاد سيدنا علي الحسن والحسين، ثم أصبحت حكرا على أبناء الحسين فقط. ويرجع السبب في ذلك؛ إلى زواج الإمام الحسين بن علي من ابنة ملك الفرس "شاه زنان"؛ وبالتالي يكون الإمام علي زين العابدين ابن الحسين، وأولاده هم أحفاد جده ملك ملوك الفرس؛ ومن هنا أصبح هو الإمام، وصاحب الولاية من بعد الحسين، ومن يأتي من نسله؛ بوصفهم الأئمة حتى الإمام الغائب. ([37])

ثانيا: مفهوم الولاية عند الشيعة في الدولة العباسية حتى سقوطها:

استمر الصراع السياسي بين الشيعة والدولة الأموية، حتى استطاعوا إسقاطها، بعد تحالفهم ومناصرتهم لأتباع بني العباس، وازدادت قوتهم، وتبوأوا العديد من المناصب السياسية في الدولة العباسية، لكنهم أثاروا الفتن والصراعات؛ من أجل الوصول إلى الحكم، وتأسيس الدولة الشيعية، فبعد انهيار الدوله العباسيه، جاء أحد

[36])محمد باقر الصدر: بحوث حول الولاية، مكتبة النجاح، طهران، ط2، 1982، ص 37. وأيضا: فرح موسى: رسالة في الولايات السياسية "مقاربات نظرية بين الفقه والفلسفة، دار الهادي، بيروت، 2000، ص 22. وأيضا:
Sayyed Hussein Nasr & Oliver Leaman: History of Islamic Philosophy, London & New York, Part 11, P: 851

[37])علي محمد الشرفاء الحمادي: المسلمون بين الخطاب الديني والخطاب الإلهي، النخبة للطباعة والنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط3، 2018 ،ص 37.

فقهاء الشيعة، وهو محمد بن مكي الجزيني "الشهيد الأول" ت: 786 هـ حيث أشار– بصورة مبدئية– إلى فكرة الفقيه الجامع للشرائط؛ باعتباره نائب الإمام، وأفتى بوجوب اللجوء إليه في القضاء، والالتزام بكل حكم يصدر عنه، وعبَّر عن ذلك بقوله:" وفي الغيبة ينفذ قضاء الفقيه الجامع لشرائط الإفتاء فمن عدل عنه إلى قضاة الجور كان عاصيا، وتثبت ولاية القاضي بالشياع وشهادة عدلين، ولابد من الكمال والعدالة، وأهلية الإفتاء، والذكورة، والكتابة والبصر". ([38]) وتكمن أهمية النص؛ في أنه يمثل بداية التأصيل، نحو بناء نظرية ولاية الفقيه في الفكر السياسي الشيعي، واستمر هذا النظام، حتى ظهور الدويلات الشيعية في شرق آسيا، مثل الصفوية وغيرها.

ثالثا: تطور مفهوم ولاية الفقيه في الفكر الشيعي الحديث (أحمد النراقي 1882م):

استطاع الشيخ النراقي، أن يسهم في تدعيم التأويلات الخاطئة لمفهوم الولاية في الفكر الشيعي؛ حيث يؤكد أن الولاية الحقة أو أصل الولاية، لله سبحانه، وللرسول الأعظم، وأوصيائه من الأئمة على المذهب الاثنى عشري. ويرى أن هناك نوعين من الفقهاء؛ الأول هو الذي يعطي صلاحيات الحكم للسلطان، أما الثاني– وهو الأخطر– فهو من يمارس الحكم بنفسه. وقد عبَّر الشيخ النراقي عن ذلك قائلا:" اعلم أن الولاية من جانب الله سبحانه على عباده، ثابتة لرسوله، وأوصيائه المعصومين، عليهم السلام، وهم سلاطين الإمام، وهم الملوك والولاة والحكام، وبيدهم أزقة الأمور، وساير الناس رعاياهم، والمقصود لنا هنا، ولاية الفقهاء، الذين هم الحكام في زمان الغيبة والنواب عن الأئمة". ([39])

يرى الشيخ النراقي، أن وظيفة الفقيه في زمن الغيبة هي كالآتي:

---

[38]) محمد بن مكي الجزيني: اللغة الدمشقية، ص 74 مستل من
https://alfeker.net/library.php?id=4422

[39]) المولى أحمد النراقي: عوائد الأيام في بيان قواعد استنباط الأحكام، ج2، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2000، ص 86

أ- كل ما هو للنبي والإمام الذين هم سلاطين الأنام، وحصون الإسلام فيه الولاية وكان لهم؛ فللفقيه أيضا. وهذا الأمر، فيه إعطاء حق للفقيه ليس حقه، ورفعة لمنزلة هي بالفعل ليست منزلته، فكيف يساوي الشيخ النراقي، بين النبي والإمام، ثم يساوي- بعد ذلك- النبي بالإمام وبالفقيه.

ب- إن كل فعل متعلق بأمور العباد- في دينهم أو دنياهم- هومسؤولية الفقيه، وذلك بعد غياب الإمام، الذي به تستقيم الأحوال، وتهدأ الأكوان، ويقام العدل والإنصاف، وطالما أننا في زمن الغيبة؛ فالذي يحل محله أو ينوب عنه؛ هو ذلك الولي الفقيه. ([40])

ويستخدم الشيخ النراقي، مبدأ التأويل الخاطيء للنص الديني؛ لتوظيف الولاية سياسيا؛ حيث استخدم منهج تأويل بعض المقولات للنبي وبعض الأئمة؛ في تثبيت مفهوم ولاية الفقيه؛ للوصول إلى أقصى استفادة؛ فنجد مقولة أبي خديجة، التي تنص على:" قال لي أبو عبد الله عليه السلام: انظروا إلى رجل منكم، يعلم شيئا من قضايانا؛ فاجعلوه بينكم، فإني قد جعلته قاضيا؛ فتحاكموا إليه". وهنا يحاول الشيخ النراقي، إعطاء سند شرعي للفقهاء، الذين يقومون ببعض الأمور، التي هي من صلاحيات الحاكم. ([41])

ويستمر الشيخ النراقي، في تبرير ولاية الفقيه؛ بتأويل بعض المرويات، فهذه مقولة عمر بن حنظلة، المنقولة عن الإمام الصادق، والتي يشير فيها إلى تحريم التحاكم إلى السلطان أو قضائه؛ باعتبارهم طواغيط ومنها قال:" قال الله تعالى: (يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ) قلت: كيف يصنعان؟ قال: ينظران إلى من كان منكم، قد روى حديثا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا؛ فليرضوا به حكما؛ فأني قد جعلته عليكم حاكما، فإذا حكم حكما، فلم يقبل منه، فإنما

[40]) المصدر نفسه، ص 93.
[41]) المصدر نفسه، ص91.

استخف بحكم الله وعلينا رد، والرد علينا الراد على الله، وهو على حد الشرك بالله".([42])

أدت آراء الشيخ النراقي عن ولاية الفقيه، دورا فاعلا في التأصيل لمفهوم ولاية الفقيه صراحة، وأيَّد هذه الآراء بالدلائل العقلية والنقلية، خاصة مقولة أبي خديجة، ومقولة عمر بن حنظلة؛ حيث شكلت هذه الآراء مرحلة مهمة جدا وأساسية، من مراحل تطور ولاية الفقيه، في عصر الغيبة في الفكر السياسي الشيعي، حتى لو تم تأويل بعض النصوص الصريحة تأويلا خاطئا، وتعميمه على الناس في المساجد، لتصبح قاعدة عقدية، لا يمكن الخروج عليها.

ولقد كان للتطورات السابقة في قضية ولاية الفقيه، عند بعض منظري الفكر السياسي، مردودات فكرية واسعة، تمثلت في ظهور ما يسمى بالتأويل الثوري للإسلام، من قبل بعض رجال الدين، من أتباع أية الله كاشاني ت: 2024م أمثال علي شريعتي ت: 1977م، الذي روَّج لأفكاره قائلا:"إن البعد السياسي في التحرك الشيعي، يمثل البعد الأكثر حيوية، ولم يكن شيئا عابرا، أو مجرد شعار مرحلي، بل هو انعكاس لمنهج قويم، يجسد في واقعه الرسالة العالمية للإسلام، المتمثلة بإنقاذ البشرية، وإلغاء مظاهر التمايز الطبقي والتمييز العنصري". ([43])

أستطيع أن أقول، إن كل ما سبق من مراحل لتطور ولاية الفقيه، كانت جميعا في مرحلة التنظير، إلى أن جاءت المرحلة الحاسمة أو التطبيقية، التي تم تطبيق ولاية الفقيه بصورة عملية، وذلك مع قيام الثورة الإسلامية في إيران، من خلال قائدها الإمام الخميني ت: 1989. ومن البديهي أن نظرية ولاية الفقيه، تعدُّ انقلابا جذريا في الفكر السياسي الشيعي الاثنى عشري، وتم استخدام التأويلات الخاطئة؛ للوصول إلى هذه المرحلة، وهي مرحلة التطبيق العملي لنظرية ولاية الفقيه.

---

[42]) المصدر نفسه، ص 92.

[43]) علي شريعتي: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ترجمة: حيدر مجيد، تقديم: إبراهيم الدسوقي شتا، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط2، 2002، ص 146.

وهكذا يمكننا القول إن نظرية ولاية الفقيه– كما تصورها الشيخ النراقي –كان لها أهميتها الكبرى في استمرار حكم ولاية الفقيه حتى عصرنا الحاضر؛ إذ إنها:

1– جاءت لتثبت أن السياسة ترتبط بالدين ارتباطا وثيقا، وهي قائمة– بالدرجة الأولى– على المصلحة، وبالتالي تخلت الشيعة عن فكرة الإمامه الإلهية، القائمة على النص والتعيين لصالح الإمامة البشرية، وبالتالي تم فتح الباب أمام مفكري الشيعة؛ ليقدموا أفكارا جديدة، لم تكن موجودة من قبل، عن الدولة وكيفية قيامها.

2 جاءت نظرية ولاية الفقيه عند الشيخ النراقي؛ لتدل على إمكانية قيام دولة إسلامية، يقودها ولي فقيه حاضر، وليس إمامًا غائبًا، وهذا يعدُّ تحولًا أيدولوجيًّا في الفكر السياسي الشيعي.

3– أصبح كل من مبدأ التقية، والانتظار لعودة الإمام الغائب، في عالم النسيان، بعد التأويل الجديد لنظرية ولاية الفقيه عند النراقي.

4– أمست نظرية ولاية الفقيه، تقوم على مبدأ الحصر في فئة قليلة من آل بيت سيدنا علي بن أبي طالب (كما سبق وأشرنا)، وأصبحت اليوم محصورة في فئة قليلة من الأمة، وهم الفقهاء، أو ما يطلق عليه الولي الفقيه.

رابعا: تطور تأويل نظرية ولاية الفقيه في العصر الحاضر عند الإمام الخميني:

تناول الإمام الخميني ت: 1989م نظرية ولاية الفقيه من خلال الآتي:

1– مفهوم ولاية الفقيه عند الإمام الخميني:

حاول الإمام الخميني، تطوير مفهوم ولاية الفقيه بصورة جديدة؛ حيث أشار إلى أن الفقيه الحائز على صفتي العلم بالقانون، والعدالة، يتولى نفس صلاحيات النبي– صلى الله عليه وسلم– والإمام المعصوم في عصر الغيبة، على الرغم من أن الفقيه، ليس له المنزلة، ليس فقط المعنوية، ولا أيضا المادية الخاصة بمقام النبوة، والإمامة

المعصومة، وفق المذهب الاثنى عشري، الذي يعتقد بأن خاصية العصمة فقط للنبي والإمام. ([44])

يميز الإمام الخميني بين ولاية الفقيه، وولاية النبي والأئمة المعصومين من آل البيت العلوي، والتي هي مقام الخلافة الكلية، التي ورد ذكرها على لسان الأئمة عليهم السلام أحيانا، حيث يخص ولايتهم (النبي وآل بيته من الأئمة)، بما يطلق عليه الولاية التكوينية، وهي "القدرة على التسلط على الظاهرة الكونية، من خلال آلية، يفترض أن تتفاعل مع مكونات الفعل التكويني إن على نحو التسلط عليها، كما يتسلط الداء على الدواء، وإن على نحو التقرب من مصدره" ومن له هذه الولاية، يمارسها من خلال تمتعه بقدرة مفترضة على اختراق نظام العلية الكونية؛ حيث إن هذا النظام قابل للاختراق.([45])

ويعتقد الخميني أن الولاية التكوينية، تختلف عن ولاية الفقيه، التي تعني حكومة الناس، وإدارة الدولة، وتنفيذ أحكام الشرع، ليس من حيث الوظيفة، بل من حيث حجم الصلاحيات التي يتمتع بها الأشخاص المتصدون لهما، ويضرب مثالا؛ لتحديد الفارق الجوهري بين الولايتين، وهو عدم وجود صلاحية للولي الفقيه في عزل الفقهاء الآخرين، أو تنصيبهم، بمعنى عدم وجود ولاية مطلقة له على الفقهاء المعاصرين له؛ لأن ولايته وظيفية، تخص الحكومة والإدارة والتنفيذ. ([46])

ولقد جاء تعريف الولاية الفقهية، على أنها تلك الولاية، التي ترجع بالنتيجة إلى الشريعة والفقه، ومصدرها الأدلة الشرعية، أو الأدلة العقلية الكاشفة عن الحكم

---

[44]) الإمام المجاهد السيد روح الله الخميني: الحكومة الإسلامية "دروس فقهية تحت عنوان ولاية الفقيه"، ط 3، 1339هـ، ص 49 مستل من:
http://alfeker.net/library.php?id=1162

[45]) جلال الدين علي الصغير: الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم "ع"، دراسه نقدية لأفكار تنكرت لهويتها فضلت السبيل، دار الأعراف للدراسات، بيروت، طبعة ثانية مزيدة ومنقحة، 1998 ، ص ص 97 ، 98.

[46]) الخميني: الحكومة الإسلامية، ص 51.

الشرعي، ومنها الولاية المجعولة للفقيه، الجامع للشرائط، والمتصدي للشأن العام من قبل الإمام المعصوم، والثابتة بالنص الشرعي، والدليل العقلي. ([47])

استخدم الخميني لغة سياسية حديثة؛ لإعادة تأكيد الأسس الشرعية والعقلية، لمفهوم ولاية الفقيه، التي تناولها بالشرح والتحليل المحقق النراقي، كما ذكرنا سابقا، إلا أن الخميني توسع في توضيح معنى ولاية الفقيه، وقدم الدلائل الحاسمة في هذا الإطار؛ لكي يقنع عددا من رجال الدين، والشباب، والمثقفين الإسلاميين، الذين لديهم شكوك حول موقف المؤسسة الدينية الشيعية، التي تعارض إقامة دولة إسلامية في عصر الغيبة؛ من خلال استعارة مفهوم نائب الإمام الغائب، الذي ظهر في العصر الصفوي، وقام الخميني بالتوسع في استعارة الروايات، التي تثبت ولاية الفقيه، وكذلك قام بتأويل بعض الآيات القرآنية؛ لإثبات حق الولاية للفقهاء؛ باعتبارها مهمة إلهية، أوكلها الله تعالى إلى الفقهاء في عصر الغيبة؛ حيث يقوم الفقيه بما قام به النبي لا يزيد ولا ينقص.([48])

ومن بين الأدلة العقلية التي صاغها الخميني على ضرورة ولاية الفقيه، ليس فقط من الناحية السياسية، ولكن أيضا من الناحية الاجتماعية؛ حيث يرى ضرورة إقامة الدولة الإسلامية، في الظروف الحالية المعاشة، وعدم الانتظار لحين ظهور الإمام الغائب؛ فيقول:"هل يجب أن تبقى الأحكام الإسلامية طيلة فترة ما بعد الغيبة الصغرى إلى اليوم، حيث مضى أكثر من ألف عام، ومن الممكن أن تمر مائة ألف عام أخرى، دون أن تقضى المصلحة ظهور صاحب الأمر، فهل يجب أن تبقى مطروحة، وبلا تطبيق، وليعمل كل امرئ ما يشاء؟ ولتعم الفوضى". ([49])

[47]) السيد محمد مصطفوي: نظريات الحكم والدولة "دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدستوري الوضعي، معهد الرسول الأكرم العالمي للشريعة والدراسات الإسلامية، 2002، ص 31.
[48]) الخميني: الحكومة الإسلامية، ص 70.
[49]) المصدر نفسه، ص26.

هذا بالفعل هو قمة التأويل الخاطئ لمفهوم الولاية؛ حيث استطاع الخميني، إقناع المؤسسات الدينية الرافضة لفكرة ولاية الفقيه؛ للحصول على أكبر قدر من المصلحة السياسية، وهو الوصول إلى الحكم، بغض النظر عن وجود نص أو عدمه، فهو يستطيع- بمنهج الانتهازية السياسية- أن يطوع النص لخدمة مصلحته الشخصية. ومن هنا جاء الخميني بفكرة الحكومة الإسلامية، التي تقترن بولاية الفقيه، فالحكومة الإسلامية، ليست كأي نمط من أنماط الحكومات الموجودة، فهي مثلا ليست استبدادية، وإنما هي مشروطة بالحدود التي أقرها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة. ويرفض الخميني أية حكومة، جاءت بعد وفاة النبي، وكذلك فترة حكم الإمام علي، بوصفهم حكومات غير شرعية؛ وبالتالي فإن القضاء على أنظمة الحكم غير الشرعية القائمة في البلاد الإسلامية، غير ممكن بدون الثورة، التي تكون مهمتها أو هدفها الإستراتيجي؛ هو محاولة إزالة كل نظام غير إسلامي؛ لأنه نظام حاكمه الطاغوت، ونحن- المذهب الشيعي- مكلفون بإزالة آثار الشرك من مجتمعاتنا الإسلامية ومن حياتنا اليومية. ([50]) كما يعتقد.

وأعتقد أن أفكار الخميني نحو ولاية الفقيه؛ قد أدت إلى نوع من الحق الإلهي المقدس؛ بوصف الولي رجل السماء على الأرض؛ وبالتالي إضفاء نوع من القدسية الدينية على الحكومة الإسلامية، إلا أن هناك أصواتا حرة، لديها نوع من الوسطية في فهم الدين، فهذا الشيخ منتظري ت: 2009م، يبرر رفض ولاية الفقيه المطلقة؛ بسبب تحويلها إلى ديكتاتورية استبدادية؛ فيقول:"إنني اقترحت إدخال المادة القانونية – يقصد المادة التي تخص صلاحيات ولاية الفقيه – التي جرى تثبيتها للدستور الإيراني عام 1979، وهي من صنيعتي، لكنني أرفضها اليوم؛ لأن الولي الفقيه- حسبما كنت أريد- لا يعدو كونه مراقبا، له حق النصح ، ولكن ما نراه اليوم؛ هو قيام ديكتاتورية أكثر استبدادا من النظام السابق باسم الدين، ومذهب أهل البيت تحت مظلة ولاية

[50]) المصدر نفسه، ص 34.

الفقيه، التي جمعت تحتها عناصر فاسدة، ومنحرفة، ومنافقة، لا دين لها، ولا إيمان لها بثورة ولا بأخلاق".([51])

ومن التأويلات الخاطئة وغير المنطقية التي نقدها الشيخ عباس حميد علي زنجاني؛ هي المساواة المطلقة بين كل من النبوة والإمامة، وولاية الفقيه المطلقة من حيث الوظيفة، وبناء على ذلك؛ تفسر الإمامة بأنها تعني إدارة البلاد، وطلب السلطة، والقيادة السياسية. ([52]) بعيدا عن القداسة الدينية المزعومة.

ونخلص من ذلك، أن الإمامية، ينقسمون– إزاء الولاية –إلى رأيين؛ الأول الاعتقاد بولاية الفقيه وأنها ضرورية، أمثال النراقي، والإمام الخميني، ثانيا من يعتقد بمفهوم عدم الولاية، ويستند هذا الرأي على أن مبدأ عدم ولاية أحد على أحد في الإسلام، وهم يعتقدون بولاية الأمة على نفسها، إلا أن الخميني قد أقر بأن كل من لم يؤمن بولاية الفقيه؛ فقد كفر بمباديء الإسلام، وهذا يعني تأويلًا خاطئًا وخطيرًا؛ لأن عدم الإيمان بهذه الولاية؛ يعدُّ خارجًا من الملة، في رأي آية الله الخميني؛ إذ يؤكد أنه واجب مكلف به المسلمون جميعا.([53])

وبهذا تخلى الخميني عن فكرة التقية والسكون، إلا أن ذلك يخلق أزمة أيديولوجية في المعتقد الشيعي الاثنى عشري؛ بأنه ليس هناك حاجة إلى عودة المهدي المنتظر، مادام يمكن الاستغناء عنه؛ بأن يقوم أحد مقامه، وهو الولي الفقيه.

أثر التأويلات الخاطئة للولاية في الفكر الشيعي على العالم الإسلامي:

يرى الشيعة الاثنى عشرية عالمية الولاية؛ وبالتالي فقد جاءت الثورة الإيرانية، بمثابة طوق النجاة لكل دول الإسلام، ومن هنا اختلف الساسة الإيرانيون، حول طرق تصدير الثورة الملائمة والفعالة، فهناك من رأى تقديم النموذج أو المثل، بوصفه أداة رئيسية للتصدير، وبالطبع استخدم هذا الاتجاه سلاح القوة الناعمة أو ما يعرف

[51]) تصريح آية الله العظمى حسين المنتظري لصحيفة الشرق الأوسط 19 /11 /1997.
[52]) مجله قضايا إسلامية معاصرة، حوار مع الشيخ عباس حميد علي زنجاني، العدد الثاني 1998، ص 236.
[53]) الخميني: الحكومة الإسلامية، ص 34.

بالوسائل السلمية، في حين رأى فريق آخر؛ أن أفضل أسلوب لتصدير الثورة؛ هو سلاح القوة الغاشمة، أو الحل العسكري، إلا أن أصحاب الرأي الثاني كانوا الأضعف، وتخلوا عن مبادئهم منذ عام 1986. ([54])

وعلى ذلك، عوَّل الخميني على فكرة الوحدة الإسلامية، من منطلق عالمية الولاية – حكم الولي الفقيه – للقيام بمهمة إسقاط الحكومات الخائنة والفاسدة. هذه الوظيفة التي يجب على المسلمين في كل بلاد الإسلام القيام بها، والوصول بالثورة السياسية الإسلامية إلى النصر، ومن هنا، عزَّز الخميني فكرة قيام دولة داخل الدولة، في المجتمعات التي يعيش فيها الشيعة، وهي منفذة– إلى حد كبير– عن طريق فكرة أموال الخمس، والأمثلة كثيرة على ذلك، مثل الحوثيين في اليمن، والشيعة في العراق، والعلويين في سوريا، وحزب الله في لبنان. ([55]) وسنكتفي بنموذج واحد فقط.

نموذج حزب الله في لبنان وعالمية ولاية الفقيه:

بعد نجاح الثورة الإيرانية عام في 1979، واجتياح إسرائيل جنوب لبان 1982، ظهر فريق من الشيعة، تحت اسم "حزب الله"، المنشق عن حركة "أمل" اللبنانية، هذا الفريق حاول إنشاء تشكيل إسلامي موحد في لبنان، تكون القيادة فيه للولي الفقيه، وهو الخميني في هذا التوقيت، وهذا بالفعل ما سعت إليه إيران تحت مظلة عالمية الولاية. وأخذ المد الشيعي في الانتشار في الدول الإسلامية؛ في محاولة تطبيق النموذج الإيراني الاثنى عشري (الثورة الإسلامية)؛ حيث يمثل هذا النموذج، الجانب التطبيقي الذي تسعى إيران إلى تعميمه. ([56])

---

[54]) عبد الرحمن محمد النعيمي: الصراع على الخليج العربي، دار الكنوز الأدبية، بيروت 1994، ص ص 132، 133.

[55]) الخميني: الحكومة الإسلامية، ص 34.

[56]) نبيل سويلمان: قواعد جديدة للعبة: إسرائيل: حزب الله بعد الانسحاب من لبنان، ترجمة عماد فوزي شعيبي، الدار العربية للعلوم، 2004، ص 8.

هناك ارتباط قوي بين "حزب الله" في لبنان فكريا، والأيدولوجية الدينية في إيران. ولقد جسد حسن نصر الله تلك العلاقة، في قوله:" مرجعيتنا السياسية؛ هي قيادة حزب الله، ونحن نؤمن بما يسمى ولاية الفقيه، وأن علينا أن نرجع في أمورنا الأساسية، وخصوصا في أبعادها الشرعية، لفقيه عادل، هو الإمام الخميني، ومن بعده الإمام الخامنئي". وعلى ذلك، فإن المد الشيعي تحت مظلة ولاية الفقيه، قد أنشأ حزب الله، الذي أصبح مواليا لإيران بدرجة كلية. ([57])

إذن استطاعت إيران، أن تصدر نموذج الثورة الإسلامية إلى بعض البلاد الإسلامية، ذات المرجعية الشيعية، وحملت إيران مسؤولية عالمية الولاية للفقيه، حتى لو كان ذلك الفكر خاطئا، وهذا أكده الإمام الخامنئي خليفة الإمام الخميني؛ حيث قال:"إن وحدة المسلمين، أصبحت واجبا، وعملا دينيا، وحركة سياسية، وأننا- باعتبارنا مسؤولين- نحمل على أكتافنا مسؤولية تطبيق الإسلام والقرآن في واقع حياة الإنسان". هذه المسؤولية مسؤولية غير حقيقية، وليس لها أية دوافع، سوى دوافع سياسية، تحمل أطماع المد الشيعي تحت مظلة ولاية الفقيه. ([58])

وتستفيد إيران من مفهوم عالمية ولاية الفقيه؛ حيث طوَّعت الظروف الدولية والإقليمية؛ للوصول إلى طموحاتها العالمية. فها هي قد مدت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، بالفكر الأيديولوجي والإسهامات المالية؛ وبالتالي أصبحت الحركة موالية لإيران تماما مثل حزب الله. وكذلك الأمر في اليمن وما ترتبط به إيران مع الحوثيين، من روبط دينية، وعقدية، قائمة أيضا على فكرة ولاية الفقيه. ولا تدخر إيران وسعا، في الوصول إلى مخططاتها السياسية؛ فنجد تحالفها مع الولايات المتحدة؛ لإسقاط حكومة طالبان السنية في أفغانستان، وإيصال القوى الشيعية الموالية لفكرة الولي الفقيه في إيران، إلى المشاركة في الحكم. كذلك سعت إلى إسقاط نظام البعث العراقي، الذي

[57]) خالد البحيري: عربي من لبنان حسن نصر الله، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 2006، ص 24.
[58]) أنور قاسم الخضري: حزب الله من النصر إلى القصر "قراءة في إستراتيجية حزب الله"، منصور للطباعة، القاهرة، ط1، 2007، ص 26

وقف حائلا ضد المد الشيعي، وتصديره لمباديء الثورة الإيرانية، ومحاولة استبدال حكومة وسلطة ذات مرجعية شيعية به. ([59])

وعلى ذلك، فقد أدت التأويلات الخاطئة لمفهوم الولاية، الدور الفاعل في تشكيل الوجدان الشيعي قبل الثورة الإسلامية، إلا أن نجاح هذه الثورة؛ كان له مردود واسع النطاق على مستوى العالم الإسلامي؛ حيث أصبح- ولأول مرة منذ عدة قرون- وجود حكومة إسلامية، ذات أرض وسيادة مستقلة، تحت مظلة ما يعرف بولاية الفقيه في المذهب الشيعي الاثنى عشري، الأكثر انتشارا وتأثيرا في العالم. وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للمذهب الشيعي، فماذا عن بعض المذاهب الإسلامية الأخرى، كالمذهب السني، الذي يمثل الغالبية العظمى في مشارق الأرض ومغاربها وعلى الرغم من ذلك، فقد حاولت جماعة أن تضلل المسلمين، وتتخذ من بعض الشعارات المزيفة، والتأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة والحكم لله، مبدأ لفرض سطوتها السياسية على العالم الإسلامي، تحت حكم المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين. وهو ما سنوضحه في المبحث القادم.

[59]) المرجع نفسه، ص 26.

المبحث الثالث: تأويل مفهوم الخلافة سياسيا عند جماعة الإخوان المسلمين:

رأينا في المبحث السابق، كيف استطاع الشيعة، تأويل مفهوم الولاية (الخلافة)، بما يحقق مصالحهم الذاتية على مر العصور حتى عصرنا الحاضر ، وتوقفنا أمام المحقق النراقي، الذي حاول تأويل معنى الولاية (الخلافة) سياسيا، ودعا- مستعينا بتأويل نصوص الكتاب والسنة- إلى ولاية الفقيه، ثم تطور الأمر تطورا خطيرا؛ عندما نجحت ثورة الإمام الخميني، والذي عوَّل على ولاية الفقيه، وأتى بالنصوص المقدسة ذات السند الشرعي لولاية الفقيه، وحاول الخميني- بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران عام 1979- إلى تصدير هذا النموذج إلى بلاد الإسلام اقتناعا منه بعالمية دعوته، أو بالأحرى وصايته على الإسلام والمسلمين، وظهر ذلك بوضوح، من حزب الله في لبنان، وكذلك حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وكذلك الحوثيون في اليمن، وكل ذلك، ناتج عن التأويل الخاطئ لمفهوم الولاية عند الشيعة، وبعد سقوط الخلافة العثمانية السنية، وتقسيم العالم الإسلامي بين دول أوروبا الاستعمارية، كان لابد أن تظهر دعوات لإعادة بعث الخلافة، تمثلت في صور الرابطة الإسلامية، والجامعة الإسلامية وغيرها، وهي دعوات ساندها الاستعمار؛ لتفتيت قوة المسلمين، وتشتيت روابطهم الروحية، وكان من بين هذه الدعوات دعوة حسن البنا سنة 1928م، الذي اعتمد على تبني مفهوم الخلافة الإسلامية لنشر دعوته؛ من خلال جماعته الخاصة، التي أطلق عليها جماعة الإخوان المسلمين.

قام البنا- هو وغيره من مرشدي الجماعة- بالدعوة إلى إقامة الخلافة الإسلامية من جديد؛ بمساندة ومؤازرة من الاستعمار الانجليزي، وحاولوا توظيف النصوص المقدسة لخدمة هدفهم، وهو الوصول إلى الحكم بأي شكل من الأشكال، على الرغم من ادعائهم أن جماعتهم جماعة دعوية في الأساس. ([60])

أولا: مفهوم الخلافة عند جماعة الإخوان المسلمين:

[60]) Gudrun Kramer, Hassan al-Banna, Oxford, London, 2010, P: 10

ترى جماعة الإخوان المسلمين، أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، ويرفعونها إلى أن تكون أحد الشعائر المقدسة للإسلام، التي يجب على المسلمين التمسك بها، واتخاذها رابطة روحية تجمعهم؛ وبالتالي يجب إقامتها تحت أي شعار، وبأي طريقة من الطرق، مهما كلفهم ذلك. والخليفة هو المحور الأساسي، الذي تدور حوله كثير من الأحكام في دين الله، إذ يرجعون في ضرورتها وأهميتها، إلى ما حدث بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فبعد أن اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة، وقدموا النظر في أمر الخلافة، عن النظر في دفن وتشييع الرسول إلى روضته الشريفة، وهذا يدل– دلالة قاطعة– على مدى أهمية الخلافة في الإسلام؛ وبالتالي فالإخوان يعتقدون بلزوم إقامتها وبمعنى آخر، لا يوجد عذر لدى المسلمين في عدم إقامة الخلافة. ([61])

لقد كان لانهيار الخلافة العثمانية، التي رآها بعضهم، دولة الخلافة الإسلامية عام 1924، بالغ الأثر في فقدان المرجعية الكبرى للمسلمين، على المستويين الثقافي والسياسي، متمثلا في الدولة والنظام السياسي، وقد دفع ذلك الفراغ، طموح وطمع بعض الشخصيات والجماعات؛ لإحياء الخلافة الإسلامية مرة أخرى، والغريب في الأمر؛ أن جماعة المسلمين، قد تم إنشاؤها، وتناميها بصورة سريعة من عام 1928، وذلك عقب انهيار الخلافة الإسلامية العثمانية عام 1924([62]).

حاولت الجماعة، أن تكون مثالا نموذجيا لهذا الطموح، وعزَّزت الجماعة حضورها؛ بقدرتها على الوصول إلى الشرائح المجتمعية كافة، وخاصة البسطاء منهم، وذلك انطلاقا من وضع مفهوم جديد للدين الإسلامي، على حد تعبير المرشد الأول للجماعة حسن البنا:"بأن الإسلام هو عبادة وقيادة، ودين ودولة، وروحانية وعمل، وصلاة

[61]) حسن البنا: مجموعة رسائل حسن البنا، دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، 1988، ص 198.

[62]) Jay Sekulow, Rise of ISIS: Athreate We can't Ignore, Howard Book, An Imprint of Simon & Schuster, Inc, New York, 2014, P: 19

وجهاد، وطاعة وحكم، ومصحف وسيف، لا ينفك واحد من هؤلاء عن الآخر". فالإسلام نظام كامل، يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة، وينظم أمر الدنيا، كما ينظم أمر الآخرة، فهو عندهم دين ودولة، ومصحف وسيف. ([63])

ولإقامة الخلافة في اعتقادهم؛ لابد أن يكون هناك تعاون تام، ثقافي، واجتماعي، واقتصادي، بين الشعوب الإسلامية كلها، يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات، وعقد المجامع، والمؤتمرات بين هذه البلاد، ثم يلي ذلك؛ تكوين عصبة الأمم الإسلامية، التي تستطيع- بعد ذلك- أن تختار الإمام، أو الخليفة، وتنصبه خليفة للمسلمين. ([64])

وهذا ما سنحاول توضيحه عند كلٍّ من الإمام حسن البنا، والمفكر سيد قطب؛ باعتبار الأول المرشد العام الأول للجماعة، وباعتبار الآخر؛ العقل المفكر للجماعة على مر تاريخها.

1- مفهوم الخلافة في فكر حسن البنا:

يرى الإمام حسن البنا- المرشد الأول لجماعة الإخوان المسلمين- ضرورة إعادة الخلافة الإسلامية، إلا أن عودة الخلافة، لابد وأن تكون بصورة تدريجية، ولا يمكن في الظروف الحالية - (ظروف عصره) - فرض الخلافة على الأقطار الإسلامية، فلابد أن يكون هناك تمهيد لإقامة نظام الخلافة والعمل بها، فالوصول إلى هذه الخطوة (خطوة الخلافة)؛ لابد أن يسبقها خطوات للوصول إلى النتائج المرجوة. ([65])

ويرى حسن البنا، أن أي تقاعس عن المطالبة بإقامة الخلافة الإسلامية- على النحو الذي يراه هو ومن بعده قادة جماعة الإخوان المسلمين- جريمة تصل إلى حد التكفير، أو الخروج من الملة، أي أن الأطماع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين، قد أدت إلى تكفير المسلمين، وخروجهم من الدين الحنيف، طالما أنهم لا يتبعون فتوى الشيخ حسن البنا، ببذل الغالي والنفيس؛ للوصول إلى مقاليد الحكم مهما كلفهم ذلك،

[63]) حسن البنا: الرسائل، ص 104
[64]) المصدر نفسه، ص 199.
[65]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أو على حد تعبيره:"إن قعود المسلمين عن المطالبة بالحكم، جريمة لا يكفرها إلا النهوض، واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الدين الحنيف".([66])

وإذا كانت الشيعة قد رفعت الولاية أو الخلافة، إلى درجة أن تكون ركنًا أساسيًّا من أركان الإسلام، كذلك فعل المرشد الأول للجماعة؛ إذ يعتقد أن الحكم (الخلافة) في كتب المسلمين الفقهية، من العقائد الأساسية، والأصول الثابتة لا من الفرعيات، ولا أعلم من أين أتى هذا الرجل بهذا التأويل؛ فلم تكن الخلافة ركنا أساسيا في الدين، أو أصلا ثابتا من أصول الإسلام، ولكنها ألاعيب السياسة، التي تبيح كل شيء حتى قبول الأضداد، وقد عبَّر عن ذلك بقوله:" والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع؛ فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء، لا ينفك واحد منها عن الآخر.([67])

يعتقد حسن البنا، أن مهمة الجماعة الأولى، التي يجب أن يحققها، حتى ولو على المدى البعيد، هي أن يكون في مصر أولا نظام حكم إسلامي؛ بحكم أنها في المقدمة من دول الإسلام وشعوبه، يتحقق به قوله تعالى: **(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...)** ([68]) وواضح- من خلال الشعار الموجود في الآية- وهو الحكم بما أنزل الله، الذي تتخذه بعض الجماعات، ذريعة للوصول إلى أهدافهم السياسية، ومن بين هذه الجماعات- بالطبع- جماعة الإخوان المسلمين، الذين أولوا بعض آيات القرآن الكريم تأويلا خاطئا؛ للوصول إلى أهدافهم السياسية، وأطماعهم في الحكم.([69])

وعلى ذلك، جاء تاريخ جماعة الإخوان المسلمين، منذ مرشدهم الأول حسن البنا، وهم في معارك طاحنة مع جميع الأنظمة التي حكمت مصر، سواء كان ذلك قبل ثورة

---

[66]) المصدر نفسه، ص 191.
[67]) المصدر نفسه، ص 190.
[68]) سورة المائدة، آية 49.
[69]) حسن البنا: الرسائل، ص 115.

1952، أو بعد ثورة 1952 بحجة واهية ،وهي أن الجماعة يجب ألَّا تتعامل مع أية حكومة، تعتمد في حكمها على أحكام وضعية، (قوانين) مهما كانت هذه الأحكام، وليست أحكاما (شرعية دينية)، وعلى ذلك جاءت كلمات حسن البنا قاطعة وفاصلة في ذلك؛ حيث قال:"ونحن لا نعترف بأي نظام حكومي، ولا بهذه الأشكال التقليدية، التي أرغمنا أهل الكفر، وأعداء الإسلام، على الحكم بها، والعمل عليها".([70])

ومن العجيب أن نرى حسن البنا، يحاول إقناعنا بأن الإخوان المسلمين، يريدون أن يقيموا نظام الخلافة مرة أخرى، وليس لهم أية أطماع في الوصول إلى منصب الخليفة. ومن الأعجب؛ أن نرى الجماعة تدَّعي أنها سوف تكون –هي ورجالها وأموالها ونساؤها وشبابها وأطفالها– في خدمة من يستطيع أن يصل إلى تجميع كلمة المسلمين تحت راية الخلافة؛ وذلك لأنهم لا يرون أنفسهم جديرين بأحقيتهم في الحكم، وعلى ذلك جاء قول مرشدهم الأول البنا:"فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم ولا يدعون أحقيتهم بالحكم، فإن وجدوا من الأمة ما يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج إسلامي قرآني؛ فهم جنوده، وأنصاره، وأعوانه".([71]) وكل ذلك ادعاءات كاذبة، فهم يريدون أن يتجملوا، ويظهروا بمظهر الزاهد في الحكم ودولة الخلافة، إلا أن التجربة أثبتت مدى طمعهم في السلطة والحكم تحت شعار إقامة دولة الخلافة. والدليل على ذلك؛ صراعاتهم مع الحكومات المختلفة، واغتيالاتهم لكبار الشخصيات التي وقفت أمام دعوتهم المضللة للبسطاء، مستخدمين– في تحقيق ذلك– شعارات دينية، أساءت لقدسية النص القرآني وفهمه الصحيح

2– مفهوم الخلافة في فكر سيد قطب:

إذا كنا قد عرضنا سابقا فكر حسن البنا، المرشد الأول لجماعة الإخوان المسلمين وكيفية تأويله لمفهوم الخلافة، فسوف نلقي الضوء في هذه النقطة، على أهم بل أخطر

[70]) المصدر نفسه، ص 101.
[71]) المصدر نفسه، ص 191.

رجل من الناحية الفكرية التنظرية، جاء في تاريخ الإخوان المسلمين منذ عام 1928 إلى الآن، وهو سيد قطب ت: 1966، على الرغم من أنه لم يكن مرشدا لجماعة الإخوان المسلمين، فإن فكره قد تغلغل في أعماق أعماق وجدان الجماعة، وأثر فيها تأثيرا كبيرا؛ حيث سعى إلى تقديم بعض التأويلات لبعض الآيات التي تخدم فكر الجماعة، في الوصول إلى الحكم، وتكوين دولة الخلافة الإسلامية المزعومة، ووضح ذلك جليًّا من خلال بعض مؤلفاته، مثل "في ظلال القرآن" و"معالم في الطريق" ...إلخ.

يرى سيد قطب، أنه لا يوجد على وجه الأرض، ما يعرف بالفرد المسلم صحيح الإيمان، إلا القليل؛ فهم قلة في مجتمع شبه مسلم، أو مسلم باللسان فقط. ومادام المجتمع ليس مسلما؛ فإنه لا يوجد دولة مسلمة، أو بالأحرى نواة لتكوين دولة الخلافة الإسلامية، التي يتطلع هو إلى إقامتها. وما دامت الدولة غير مسلمة؛ فهي بالتبعية لا تقيم شرع الله ولا أحكامه، واتضح ذلك من خلال قول سيد قطب:"إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة، ولا مجتمع سليم، قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي". ([72])

ونلمح في هذا الرأي، توافقا مع المرشد الثاني للجماعة حسن الهضيبي – مرشد من عام 1951 وحتى 1973 – حيث يرى المرشد الثاني، ضرورة وجود حكومة مسلمة، تنفذ شرع الله، وكذلك وجود إمام مسلم، قائم على تنفيذ هذا الشرع، وهذه الأحكام– وهذا من وجهة نظره– فرض ثابت وجوبه على أمة المسلمين، بالإجماع المبني على نصوص شرعية ثابتة. ([73])

ويربط سيد قطب إقامة الخلافة الإسلامية، بالأمة الإسلامية التي تحكم بشرع الله؛ أي أنه ينفي إسلام دول العالم الإسلامي كله؛ لأنه لا يحكم بما أنزل الله، على الرغم

[72]) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4، دار الشروق، القاهرة، 2013، ص 2122.
[73]) حسن الهضيبي: دعاة لا قضاة، الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت، ط1، 1405 هـ، ص 133.

من أن الشريعة الإسلامية، هي مصدر الأحكام في هذه الدول. هذا ليس لشيء، إلا لأنه يريد إقامة دولة الخلافة، كما يراها هو، وكما تحقق له وللجماعة مصالحهم فقط، دون النظر إلى مصلحة الأمة الإسلامية، فدولة الإخوان للإخوان، وعلى ذلك، جاء قول سيد قطب:" وهذه الأمة بهذه المواصفات، قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله فوق ظهر الأرض". ([74])

يعتقد قطب، أن مهمة الجماعة الأولى، هي تغيير هذا المجتمع الجاهلي. وهو جاهلي فقط؛ لأنه لا يقيم الخلافة الإسلامية، ولا يحكم بما أنزل الله من وجهه نظره. وهذا المجتمع الجاهلي، يصطدم اصطداما أساسيا بالمنهج الإسلامي، الذي يحول بيننا وبينه حكومة جاهلية، وأفراد جاهلون، ومجتمع جاهلي؛ لأنه يقف حجر عثرة في تطبيق المنهج الإلهي، وإقامة دولة الخلافة المزعومة. ([75])

ويرى قطب، أن محاولة إقامة الخلافة الإسلامية، لا يجب أن تكون باستخدام القوة، وهذا كلام محترم، إلا أننا نجد تناقضا لهذا الكلام؛ عندما يعلن قطب؛ أنه يجب على الجماعة، استخدام القوة في حالة الاعتداء عليها، وهو يعلن ذلك صراحة بقوله:"كنا قد اتفقنا على استبعاد استخدام القوة كوسيلة لتغيير نظام الحكم وإقامة النظام الإسلامي – دولة الخلافة – وفي الوقت نفسه، قررنا استخدامها في حالة الاعتداء على هذا التنظيم". ([76])

وأعتقد أن هذا المنهج الميكافيلي، الذي تستخدمه الجماعة؛ للوصول إلى أهدافها السياسية، يبرر كل شيء بغايته الوقتية، وبما يحقق مصالحه الذاتية، فتارة لا تدعو إلى استخدام القوة، وتارة أخرى في الفقرة نفسها تدعو إلى استخدامها، كل ذلك على حسب مصلحتي أين؟

[74]) سيد قطب: معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1979، ص 6.
[75]) المصدر نفسه، ص 19.
[76]) سيد قطب: لماذا أعدموني، الشركة العربية للأبحاث والنشر، الرياض، 1990، ص 27.

ومن العجيب أيضا في فكر سيد قطب، أن نرى التناقض والتضارب؛ فهو يرى أن إقامة الخلافة الإسلامية، لا يمكن أن تكون عن طريق انقلاب الحكم، عن طريق ثورة، أو ما شابه ذلك؛ بحيث تطيح برأس النظام، ولكن يجب على جماعة الإخوان، حمل لواء التغيير من القاع؛ حيث طبقات المجتمع الأقل والوسطى، وعندما تطمئن الجماعة إلى حدوث تغيير في قيم وأخلاق ومعتقدات المجتمع؛ عندها يتم التغيير؛ لأن إقامة الخلافة الإسلامية، أصبحت فريضة شرعية ثابتة عندهم، يمكن أن يضحوا في سبيل إقامتها بالمال والنفس والولد. ([77])

إذن الغاية الأساسية والنهائية عند سيد قطب والجماعة؛ هي إقامة الخلافة؛ عن طريق هدم النظم المناقضة لمبادئ الإسلام، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام، وهذا لا يكون لقطر من الأقطار الإسلامية دون آخر. فالمطلوب النهائي؛ هو إحداث انقلاب ثوري عام؛ يكون من بعده الفرصة سانحة لإقامة خلافة إسلامية راشدة، على غرار ما تمت إقامته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. ([78])

ثانيا: أساليب جماعة الإخوان لإقامة دولة الخلافة:

اتخذت جماعة الإخوان المسلمين، بعض من الأساليب الهراركية الصهيونية، التي استطاعت بها أن تؤثر على العامة، في محاولة منها؛ لاستقطاب أكبر عدد منهم للدخول في الجماعة، ومن بين هذه الأساليب ما يأتي:

1- محاولة إقناع العامة بأن الجماعة هي من تملك الحقيقة وحدها:

للجماعة نظرة نرجسية؛ حيث يدَّعون أنهم- وحدهم- من يملكون الحقيقة؛ فهم حاولوا إقناع العامة بأنهم أعادوا اكتشاف الإسلام مرة أخرى، بعد مرور حوالي أربعة عشر قرنًا على نزوله على المصطفى صلى الله عليه وسلم، فكل الأنظمة والجماعات والحكومات خاطئة، وظالمة، وكافرة، وهم جميعا لا يصلحون لإدارة شؤون البلاد؛

[77]) المصدر نفسه، ص 24.
[78]) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص 1451.

وبالتالي فإن الجماعة، تحاول إقامة دولة الخلافة، بكل الطرق، وفي حال إقامتها؛ فالجماعة– وحدها– هي من تملك الصواب، وهي الوحيدة الصالحة لتولي إدارة الحكم والخلافة. ([79])

أخذ الإخوان على عاتقهم، مسؤولية الدعوة، ونشر الوعي (المزيف)، وإقناع العامة والخاصة به، بين أفراد المجتمع، وادعوا لأنفسهم هذا الحق، دون سند شرعي أو قانوني، إلا أنها النرجسية المتشبعة في عقول ووجدان الجماعة، التي من خلالها، دأبت– في منهجها– على مهاجمة الحكام، ومنازعتهم، والخروج عليهم وفي هذا السياق يقول محمد مهدي عاكف – مرشد الإخوان السابع من 2004 إلى 2010 – :"إن دور الإخوان المسلمين، هو إثارة وعي المواطنين؛ للتحرك ضد الحكام". ([80])

والسؤال الذي يفرض نفسه: من الذي يضع منهج الإخوان في التعامل مع قضية وعي الجماهير؟ أعتقد أن منهج الإخوان في هذه القضية؛ هو محاولة تخدير الشعوب الإسلامية، وعليه استعملت الجماعة رؤاها الفضفاضة؛ لدغدغة مشاعر العوام، تحت شعارات براقة، منها على سبيل المثال "الإسلام هو الحل" ومادام الإسلام هو الحل؛ فالجماعة لا يعترفون بأي حاكم، أو زعيم سياسي، أو ديني خارج نطاق تنظيمهم وجماعتهم، وإنما يعترفون بالقائد والزعيم الملهم، وهو المرشد العام للجماعة، الذي يستحق –وبجدارة– أن يكون خليفة للمسلمين؛ ولذلك نراهم يقدمون أفكارهم ومشاريعهم، ويرفعون رموزهم لدرجة العصمة؛ حتى لا يعتريهم زلل أو نقصان، وهذا ما عبر عنه سعيد حوى بقوله:"وأن المسلمين ليس أمامهم، إلا فكر حسن البنا؛ إذا ما أرادوا الانطلاق الصحيح".([81])

---

[79]) مصطفى مشهور: الدعوة الفردية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1981، ص 7.

[80]) على الوصيفي: سر الجماعة، دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012، ص 42.

[81]) سعيد حوى: في آفاق التعليم "دراسة في آفاق دعوة حسن البنا ونظرية الحركة فيها من خلال رسالة التعليم"، مكتبة وهبة، القاهرة، 1980، ص 5.

وواضح نظرة الاستعلاء والنرجسية في فكر الجماعة؛ فهم لا يرون إلا أنفسهم وزعماءهم فقط، فإقامة الخلافة، وإصلاح حال المسلمين في شتى المجالات، لا يتم إلا بالرجوع إلى ما قاله البنا ورفاقه.

2- البيعة:

البيعة- في جوهرها- ميثاق غليظ، وإعلان ولاء للنظام السياسي (الخلافة الإسلامية)، والذي يقضي بالالتزام السياسي للحاكم، في مقابل الالتزام السياسي للأمة، بالسمع، والطاعة، وعدم الخروج، وقد ظلت البيعة الإخوانية، آلية للاستمرار التنظيمي، وضمانا لاستقرار التنظيم؛ بإحالة السيادة والسلطة ومستودع الحكم- طبقا لنظرية الخلافة الإسلامية- على شخص واحد فقط، هو المرشد العام لجماعة الإخوان. ([82])

والبيعة تكون منصوصا عليها؛ حيث يقول العضو الجديد:"أعاهد الله العلي العظيم، على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين، والجهاد في سبيلها، والقيام بشرائط عضويتها، والثقة التامة بقيادتها، والسمع والطاعة في المنشط والمكره، وأقسم بالله العظيم على ذلك، وأبايع عليه، والله على ما أقول وكيل". ([83])

ونستنتج أن هذه البيعة، تمثل قانونا جديدا، استنه الإخوان، بعيدا عن مبدأ الإيمان بالإسلام ومبادئه، وهو الأهم على الإطلاق عند الجماعة، وهو قانون السمع والطاعة في المنشط والمكره، أي أنه مبايعة على إلغاء العقل، وعدم التفكير، وتسليم العضو نفسه، وماله، وولده، إلى قيادات الجماعة، كما يتم تسليم الميت إلى المُغَسِّل يفعل به كيف يشاء.

وأكاد أجزم أن هذه البيعة باطلة؛ وذلك للآتي: أولا، البيعة إنما تكون لصاحب الخلافة، والولاية، والملك، والإمارة، ولا شرعية لمن يأخذ البيعة لغير هؤلاء. ثانيا:

---

[82]) فخر أبو عواد: الإخوان المسلمون: الانتشار العالمي ومفهوم البيعة والولاء، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ط1، 2014، ص 14.

[83]) قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين العامة، دار الأنصار، القاهرة، 1945، ص 12.

إشاعة الفتنة بين المسلمين، وشق عصا الطاعة، وتفرقة الكلمة. وعلى ذلك جاءت النصوص الشرعية، بالأمر بمبايعة الإمام، أوالخليفة المبايع له أولا، وقتل من بويع له بعده، ومنه قول المصطفى:"إذا بويع خليفتان؛ فاقتلوا الآخِر منهما". ([84]) ومع تطور أنظمة الحكم، وتحول المجتمعات إلى دول يحكمها الدستور والقانون، تحول نظام البيعة إلى الانتخاب الحر، وفقا لقوله تعالى: (... **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ...) ([85]).

3- الاعتقاد في عالمية الدعوة الإخوانية:

إذا كان هدف الإخوان النهائي؛ هو إقامة الخلافة، فلابد أن ينشر فكر هذه الجماعة خارج الحدود المصرية؛ ليشمل جميع أقطار العالم الإسلامي، وذلك لاعتقادهم- الخاطئ- في أن القرآن الكريم، يقيم المسلمين أوصياء على البشرية، ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على مشارق الأرض ومغاربها؛ لخدمة هذه الوصاية، وليس كل المسلمين أوصياء، ولكن الإخوان منهم فقط، وجاء ذلك الاعتقاد؛ نتيجة للتأويل الخاطئ للآية الكريمة: (.. **مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**...) ([86])، فهذه الوصاية من شأن جماعة الإخوان ولا ينازعهم فيها أحد. ([87]) كما يزعمون.

كان نتيجة انتشار هذا الفكر في العالم الإسلامي؛ أن اعتنقته بعض الدول وبعض المنظمات الإسلامية، وسنقتصر في هذا المقام على دور تركيا، ومنظمة حماس الفلسطينية.

1- الدولة التركية:

إذا كانت تركيا اليوم، تعد من أقوى دول العالم ذات المذهب السني، وذلك بعد وصول التيار الإسلامي إلى الحكم، فإن مرجعية تركيا اليوم، هي جماعة الإخوان

[84]) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج1، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإمارة، باب إذا بويع لخليفتين، حديث رقم: 1853دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، ص 1480.
[85]) سورة الشورى، آية 38.
[86]) سورة الحج، آية 78.
[87]) حسن البنا: الرسائل، ص 41.

المسلمين؛ حيث يعتبر وصول حزب الرفاه التركي، ومن بعده حزب العدالة والتنمية نجاحا ساحقا من الناحية السياسية، ليس فقط لقادة الحزب، ولكن أيضا لجماعة الإخوان المسلمين العالمية، وعليه يمكن القول- إجمالا- إن تجربة التيار الإسلامي السلمي في تركيا، للصعود إلى السلطة، كانت تجربة سياسية، على الرغم من الخلفية الدينية لقادة حزب الرفاه، ثم حزب العدالة والتنمية؛ إذ إن الترجمة الحركية لهذه الأفكار - أفكار الجماعة – كانت- في الأساس- ترجمة سياسية من الدرجة الأولى. ([88])

يتميز خطاب حزب العدالة والتنمية، بخصائص مختلفة عن الأحزاب السياسية السابقة؛ فهو يتبع الفكر الإخواني، في إقامة الخلافة الإسلامية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يعتبر نفسه وريثا شرعيا للإرث السياسي العثماني، المتمثل في الخلافة الإسلامية. وعلى هذا؛ هيَّأ وصول حزب العدالة والتنمية التركي إلى الحكم عام 2002، إلى إحداث تغيير إستراتيجي في أجندتها، على المستوى الداخلي والخارجي، كما تطلع هذا الحزب إلى القيام بدور ريادي مؤثر في النسق الإقليمي، يستمد مقوماته من داخل المنطقة، وهو في سبيل الوصول إلى هدفه، لا يتوانى في أن يتحالف مع الشيطان؛ لتحقيق ما يرنو إليه. ويتمشى هذا- تماما- مع منهج الإخوان في الانتهازية السياسية، والغاية تبرر الوسيلة، وفق المبدأ الميكافيلي؛ حيث الطمع في الحكم، بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة. كذلك حزب العدالة والتنمية التركي، الذي لا يعرف سوى الطمع في خيرات دول الجوار، مثل ماء العراق، وغاز البحر المتوسط، أما المعلن؛ فهو يريد بناء علاقات إيجابية مع جميع الدول. ([89])

2- منظمة حماس، وما يتفرع عنها من جماعات جهادية:

---

[88]) عبد الغني عماد: الإسلاميون بين الثورة والدولة "إشكالية إنتاج النموذج وبناء الخطاب" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013، ص 240.

[89]) أحمد داود أوغلو: العمق الإستراتيجي "موقع تركيا ودورها في السياسة الدولية"، ترجمة: محمد جابر تلجي، وطارق عبد الجليل، مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للنشر، ط2، 2011، ص 466.

تعدُّ حركة المقاومة الإسلامية حماس نفسها، أنها جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين (الجناح العسكري)، ويمكن تعريفها على أنها حركة مقاومة للوجود الإسرائيلي المحتل لفلسطين، متخذة من الدين سلاحا روحيا؛ لإعادة الحق المسلوب، وهي تعتبر أحد منظمات جماعة الإخوان المسلمين. ([90])

وتكاد تكون أهداف حركة حماس، هي نفس أهداف جماعة الإخوان المسلمين، فالهدف العام يتمثل في إقامة دولة الخلافة الإسلامية، والهدف الإستراتيجي؛ هو تحرير فلسطين، وإعادة حق الشعب الفلسطيني في أرضه، التي سلبها اليهود الصهاينة، ويستخدم الإخوان "حماس" استخداما سياسيا؛ للوصول إلى أطماعهم، وهي إقامة دولة الخلافة. ([91])

وعلى ذلك، فإن التأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة عند جماعة الإخوان المسلمين؛ جعل منها حركة منغلقة، ولها أنماط متفاوتة من السلوك البرجماتي، الذي يرتكز على توظيف الدين بوصفه أساسًا مرجعيًّا لتعالج من خلاله قضايا التغيير، وبناء المجتمع الجديد، حسب مواصفاتها. ومن عباءة الإخوان، ظهرت العديد من التنظيمات، والجماعات الإرهابية، وانتشرت انتشارا واسعا، وكانت أعمالها واضحة في معظم المجتمعات الإسلامية، كل هذا كان من نتائج التأويل الخاطئ لمفهوم الخلافة؛ مما كان له الكثير من الآثار السلبية على بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وهذا ما سوف

[90]) محمد العامودي وآخرون: الشيخ الجليل محمد حسن شمعة، مؤسسة إبداع للأبحاث والدراسات، ط1، 2012، ص 198.

[91]) ثابت العمور: مستقبل المقاومة الإسلامية "حركة حماس نموذجا"، مركز الإسلام العربي، ط2، 2009، ص 136.

المبحث الرابع: الآثار السلبية للتأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة في العصر الحاضر:

تناولنا في المبحث السابق، التأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة عند جماعة الإخوان المسلمين، وبالتحديد عند المرشد الأول للجماعة حسن البنا، ثم عند أهم مفكر في تاريخ الجماعة وهو سيد قطب. ورأينا أن الجماعة، تستطيع أن تتحالف مع الشيطان ذاته، في سبيل المصلحة، وهي إقامة الخلافة – وبالطبع لا يوجد من هو أفضل منهم في القيادة – ولو على زمن بعيد. ولقد كان لهذه التأويلات، بعض الآثار السلبية على الجماعة؛ حيث استخدمت بعض الأساليب؛ لإقناع العامة باعتناق فكر الجماعة ونشره على مستوى العالم الإسلامي. ورأينا كيف أن الجماعة صورت لنفسها وللجميع، أن لها الولاية ليس فقط على المسلمين، وإنما لها الولاية على سكان الأرض قاطبة، ثم كانت البيعة التي اخترعها الإخوان، في وجود ولي الأمر، وبالتالي فهي باطلة، ثم أخيرا توصلنا إلى علامية الدعوة الإخوانية؛ حيث اعتنقها بعض الدول، مثل الدولة التركية، حيث وصل حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، وهو ذو مرجعية إخوانية، وعلى مستوى المنظمات، وجدنا منظمة حماس، التي تعتنق الفكر الإخواني كلية، وتعدُّ من الأجنحة العسكرية لجماعة الإخوان المسلمين خارج الحدود المصرية. إلا أننا نجد بعض الآثار السلبية على المجتمع الإسلامي، ناتجة عن التأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة، وهي وجود بعض الجماعات الإرهابية، التي تدَّعي إقامة الخلافة، أو دولة الخلافة الإسلامية.

أولا: انتشار الأفكار الرجعية مثل (نظرية الحاكمية لله):

نظرية الحاكمية لله:

عبارة "لا إله إلا الله" في فكر الجماعات الإسلامية، تعني لا حاكمية إلا لله، ولا شريعة إلا من الله، ولا سلطان لأحد على أحد؛ لأن السلطان كله لله، فالحاكمية ليست

إلا لـه سبحانه، ولا يمكن أن تكون الحاكمية لأحد، على وجه الأرض، من دون الله، ويرفض شرعية أي وضع، لا يقوم على هذه القاعدة. ([92])

ومن خلال ما تقدم، تبدأ منظومة "الحكم بما أنزل الله" في فكر الجماعات الجهادية، بمسألة التكفير أولا، وعن ذلك، يتفرع تكفير جميع الجكام الذين يحكمون بأية قوانين وضعية، بعيدة عمًّا جاء في كتاب الله وسنة رسوله، وبالتبعية تكفير الأفراد داخل المجتمع، ومن ثم تكفير المجتمع كله، وعلاوة على ذلك، تكفير من لم يكفر هؤلاء جميعا، بل الأكثر من ذلك، أن الأقطار التي تحكم بالقوانين الوضعية، تصبح كلها دار كفر، ومن هذه الحيثية، يتم الإساءة إلى الإسلام الحنيف الوسطي؛ حيث يعتبر الإسلام غريبا في ديار الإسلام، وتعود القوة المسلحة كما كانت في حروب الردة – إلا أن حروب الردة، كانت على حق – والأخطر في ذلك؛ هو تحول الجهاد إلى ركن أساسي من أركان الإسلام، يتم توظيفه سلبيا للوصول إلى إقامة دولة الخلافة المزعومة.([93])

أما المرحلة الثانية من منظومة "الحكم بما أنزل الله"؛ فتتمثل في أنه طالما هذا المجتمع الذي أعيش فيه، هومجتمع الكفر، فما السلوك الواجب عليَّ أن أتبعه تجاه هذا المجتمع وحاكمه؟ السلوك البديهي لدى هذه الجماعات؛ هو الخروج على الحاكم الكافر، والتبرأ من هذا المجتمع الكافر، بل يجب القتال ضدهم وفيهم الأهل، والأقارب، والأحباب، وهنا ينسى العضو إنسانيته، ويفقد تاريخه، وحاضره، ومستقبله، ويسلم نفسه للشيطان – الفكر الجهادي المتطرف – فتشيع في المجتمع الفتنة والفوضى باسم الإسلام، والإسلام بريئ من هذه الأفكار الهدامة، مصداقا لقول سيدنا

[92]) سيد قطب: معالم في الطريق، ص 33.

[93]) معتز الخطيب: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، بحث ضمن كتاب "تنظيم الدولة الإسلامية"، تحرير: فاطمة الضمادي، الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، ط1، 2006، ص ص 34، 35.

رسول الله": من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات؛ مات ميتة جاهلية، ومن قتل تحت راية عمية، يغضب للعصبة، ويقاتل للعصبة، فليس من أمتي..." ([94]).

والمرحلة الثالثة نتيجة منطقية للمرحلة الثانية، فطالما أن هؤلاء الحكام كفرة؛ ينظر لجميع أحكامهم على أنها ساقطة، وليس لها سند شرعي، وبالتبعية تسقط كل أحكام الذمة، ودار الإسلام، والمعاهدات، والقوانين، وكل المنظومة السياسية المعاصرة، لحين أن تأتي المرحلة الرابعة، وهي إقامة دولة الخلافة، وما يتبعه من إقامة الحكم، وتطبيق الشريعة، ونصب الخليفة. ([95])

إن الحديث في الفكر الإسلامي عن "حق الله"، إنما يعني "حق عموم المسلمين" وأن القول إن "المال مال الله"؛ معناه أن المال مال كافة المسلمين؛ وبالتالي فإن الحديث عن حكم الله وسلطانه، إنما يعني في السياسة، حكم الأمة الإسلامية وسلطانها، ويأتي ذلك بحكم الخلافة عن الله، في إعمار الأرض، وما يلزم عن ذلك؛ من وجود نظام سياسي يحكم الأمة، ويرعى مصالحها، ولذلك؛ وجبت إقامة الدولة التي يحكم فيها الإنسان كخليفة عن الله، وبالتالي لا يوجد تناقض بين أن يكون الحكم لله، وبين أن تكون السلطة السياسية والحكم في المجتمع الإسلامي للأمة الإسلامية جمعاء.([96])

وبالتالي فإن انتشار الأفكار الرجعية، مثل نظرية الحاكمية لله، من أهم الآثار السلبية للتأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة (الولاية)، ويتم توظيفها سلبيا؛ للوصول إلى أهداف سياسية محددة، قائمة على المصلحة، على الرغم من أن هذه الأفكار، تبدو– في ظاهرها– رنانة، وسالبة للعقول والقلوب، فإن باطنها فيه الهلاك للأمة الإسلامية؛

---

[94]) الإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، ص 1477.

[95]) معتز الخطيب: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، ص 35.

[96]) محمد عمارة: الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطه السياسية، دار الشروق، القاهرة، 1988، ص ص 34، 35.

مما كان له بالغ الأثر، في تشويه صورة الإسلام السمحة، وهذا ما سوف نتعرفه في النقطة التالية.

ثانيا: تشويه صورة الإسلام السمحة:

هناك العديد من الآثار السلبية للتأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة (الولاية)، ومن أهم هذه الآثار على الإطلاق، تشويه صورة الإسلام السمحة، وتحويلها إلى صورة فاسدة من صور الجاهلية، التي لا تصلح للعصر الحاضر الذي نعيش فيه، فهناك بعض الجماعات المتطرفة أوَّلت وتبنت بعض الآيات تأويلا خاطئا، ينم عن جهل، وعدم معرفة، منها على سبيل المثال لا الحصر.

1-دعوة بعض الجماعات الدينية المتطرفة إلى الأمية ومحاربة التعليم:

نرى بعض الجماعت الدينية المتطرفة، قد حرَّمت التعليم على الرعية، ودعت إلى نشر الأمية؛ استدلالا بقوله تعالى:" ﴿**هُوَالَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾([97]) حيث دعت بعض الجماعات الدينية المتطرفة- ومنها جماعة التكفير والهجرة- إلى العودة إلى حياة النبي في صدر الإسلام، ومن المعروف أن زمن النبي-صلى الله عليه وسلم- قد انتشرت فيه الأمية، وعلى ذلك يجب ترك الجامعات والكليات والمعاهد؛ بحجة أنها مؤسسات للطاغوت، وتقع تحت طائلة مساجد الضرار. ([98]) والحقيقة أن مثل هذه التأويلات من قبل هذه الجماعات لبعض الآيات القرآنية خطأ عظيم، بل أقول جريمة كبرى، المقصود بالأمية في الآية الكريمة: الأمة التي لم ينزل عليها أحد الكتب السماوية من قبل؛ حيث يقول الحق سبحانه: **(فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا**

[97]) سورة الجمعة، الآية 2.

[98]) جميل حمداوي: الحركات الإسلامية وسلاح التكفير، ط1، 2016، ص ص 24، 25 مستل من http://www.averroesuniversity.org/AUH0000024.pdf

فَقَدِ اهْتَدَوا...) ([99]) ولتأكيد ذلك، نرى أن الإمام القرطبي، قد فرَّق في تأويل هذه الآية بين أهل الكتاب، مثل اليهود والنصارى، والمسلمين، والأميين، الذين لم ينزل عليهم أي كتاب من قبل الحق سبحانه.([100]) وبالتالي فمثل هذا الرأي من قبل هذه الجماعات، ينم عن جهل، وعدم فهم والوقوف عند ظواهر النصوص، ويساعد- بصورة كبيرة جدا- على تشويه صورة الإسلام الحنيف.

2— انتهاك حقوق المرأة:

تعاني المرأة معاناة شديدة، في ظل وجودها في مجتمع المنظمات الإرهابية، فعلى سبيل المثال منظمة مثل منظمة داعش الإرهابية، ذات السيطرة الذكورية، والكارهة أساسا للنساء؛ نجدها تغري النساء القادمات من خلفيات ثقافية مختلفة؛ للانضمام إليها بالسبل المشروعة وغير المشروعة، في معادلة، هي الأصعب على الإطلاق. والدارس لأحوال المرأة في داعش؛ يجد أن النساء على أشكال عدة منها، أولا: ضحايا نائمة، يفتقرن إلى القوة، وهن في حاجة ماسة إلى إنقاذ. ثانيا: الإناث اللواتي فقدن أنوثتهن الأصيلة، بتنمية النزعات الذكورية للعنف والعدوان. ثالثا: النساء الرومانسيات، اللواتي يبحثن عن تحقيق أحلامهن، وإشباع رغباتهن في مقابل حسابات مادية وسياسية. ([101])

ومن العجيب، أن نرى بعض النساء في تنظيم داعش يحملن السلاح، ويقمن مقام الرجال في عمليات الجهاد المزعومة؛ حيث أطلقت داعش نداءات، استهدفت الواجب الديني للمرأة، المتمثل في الارتقاء بالهدف الإلهي لتأسيس خلافة إسلامية مزعومة. على الرغم من أنه يتم إبقاء النساء والفتيات عموما في بيوتهن بشكل كبير، ومنعهن

---

[99]) سورة آل عمران، الآية 20.

[100]) الإمام محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ص18 وما بعدها.

[101]) النساء في داعش: تفكيك الديناميات المعقدة بين الجنسين في دعاية داعش للتجنيد، فبراير 2017 ، مركز كارتر، ص2 مستل من:
https://www.cartercenter.org/resources/pdfs/peace/conflict_resolution/countering-isis/women-in-daesh-report_final_arabic.pdf

من المشاركة في الحياة العامة، في بعض مناطق سوريا، الواقعة تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية. ([102]) وهنا يجب التفريق بين النساء الواقعات تحت سيطرة داعش، في المناطق التي تحكمها، وبين النساء أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية، فهناك فرق كبير بين هؤلاء وهؤلاء.

وإذا كان نساء أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية، يتمتعن ببعض المميزات، مثل كون معظمهن أعضاء في الشرطة النسائية في التنظيم، أو أن بعضهن يحملن السلاح للجهاد، فإن بعضهن يعانين من الضرر النفسي والجسدي، الناشئ من معاملة تنظيم الدولة الإسلامية لهن، مثل التعليمات الثقيلة، التي تفرضها على قواعد الملبس، وتقييدات حرية التنقل والتعليم، تثبت المعاملة التمييزية القائمة– بالدرجة الأولى– على نوع الجنس، والمنحازة للجنس الذكوري بالدرجة الأولى. ([103])

ولما كان الإسلام الحنيف، قد رفع مكانة المرأة على مر العصور، سواء على مستوى القرآن الكريم أو على مستوى السنة النبوية المطهرة، فإننا نرى أن بعض التنظيمات الإرهابية، قد انتهكت حقوق المرأة وصدرت للعالم صورة سيئة عن الإسلام الحنيف السمح.

3 – تشدد الجماعات المنتمية إلى الإسلام قولا وعملا:

من أهم أسباب تشويه صورة الإسلام السمحة؛ هو التشدد والتطرف من قبل الجماعات الإسلامية، سواء على مستوى القول، أو العمل والسلوك. فمعظم الجماعات، تلتزم مبدأ التشدد في كل حالاته، وإذا خيروا بين أمرين؛ اختاروا أشقهما وأصعبهما، ثم يحاول أفراد الجماعة، إلزام الرعية، بما اختاروه لأنفسهم، دون النظر إلى قدراتهم، واستطاعتهم على التنفيذ. ومن مظاهر التشدد أيضا؛ محاسبة الناس على

[102]) تقرير لجنة التحقيق الدولية المستقلة المعنية بالجمهورية العربية السورية، حكم الرُعب :الحياة في ظل الدولة الإسلامية في العراق والشام في سوريا، الأمم التحدة، نوفمبر 2014، ص 12، مستل من:
https://www.ohchr.org/sites/default/files/Documents/HRBodies/HRCouncil/CoISyria/HRC_CRP_ISIS_14Nov2014_AR.pdf

[103]) المرجع نفسه، ص 13.

النوافل، وكأنها أصبحت فرائض إسلامية ثابتة ونحن لا ندري، بل الأكثر من ذلك؛ إنكارهم على بعض العلماء الأجلاء، الذين يحاولون التيسير على الناس، وإظهار صورة الإسلام الحقيقية والوسطية.([104])

وعلى ذلك ساعدت بعض الجماعات الإرهابية – المنتمية للإسلام زورا وبهتانا – بمعتقاداتها المنحرفة، في تشكيل ظاهرة الصورة النمطية، المشوهة للإسلام والعرب في الإعلام الغربي. ولانتشار هذه الصورة في واقع الحياة، آثار سلبية متعددة، يأتي في مقدمتها، الأثر الأكثر خطورة، المتمثل في صد الناس، سواء في المجتمعات الغربية، أو في غيرها عن الفهم الحقيقي للإسلام، وتوضيح صورة الإسلام السمحة؛ مما يحد من انتشار الإسلام. وعلى ذلك فإن الصورة النمطية، التي ساعدت في نشرها بعض الجماعات الإرهابية المنتمية إلى الإسلام؛ تعدُّ حاجزا نفسيا صلبا، يصرف الناس عن الاهتمام بمبادئ الإسلام السمحة وتعرف كنوزه وذخائره. كما أن هذه الصورة القاتمة والمزيفة عن الإسلام، تشعل في النفوس نيران الحقد والعداء للإسلام، وتؤجج في صدورهم مشاعر الحنق والنفور. ([105])

وبالتالي صدرت الجماعات الإرهابية– المنتمية اسما إلى الإسلام– صورة منفرة وغير صحيحة بالمرة عن الإسلام؛ مما ساعد على تشويه صورة الإسلام السمحة، التي تدعو إلى التسامح والإخاء وقبول الآخر، فكانت هذه الجماعات وبالا على الإسلام وأهله؛ فنجد الغرب– أمريكا وأوروبا ومعهم إسرائيل– يحاولون جاهدين تفتيت العالم العربي والإسلامي، وهذا ما سوف نناقشه في النقطة التالية.

ثالثا: تفتيت الدول العربية والإسلامية:

---

[104]) عيل بن عبد العزيز بن عيل الشبل: الجلذور التارخيية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، ص45 مستل من:
https://d1.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single/ar_The_historical_roots_of_the_truth_of_extremism_terrorism_and_violence.pdf

[105]) عبد القادر طاش: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، الزهراء للإعلام الغربي، القاهرة، ط2، 1993، ص155

من أهم الآثار السلبية للتأويلات الخاطئة لمفوم الخلافة (الولاية) على الإطلاق؛ هو محاولة تفتيت الدول العربية والإسلامية، إلى دويلات صغيرة، قائمة –بالدرجة الأولى– على الطائفية والمذهبية الدينية. ففي الوقت الذي ترتفع فيه أصوات بعض الجماعات الإرهابية، إلى ضرورة إقامة دولة الخلافة الإسلامية، والتي تجمع تحت رايتها جميع الدول الإسلامية، نجد الواقع مغايرا تماما؛ حيث يستخدم الكيان الغربي، وبجانبه إسرائيل، معظم الجماعات الإرهابية، في نشر فكرة إقامة دولة الخلافة الإسلامية، بل الأكثر من ذلك، تمويل هذه الجماعات ماديا؛ حتى يتسنى لهم؛ تنفيذ مخططهم، وهو تفتيت الدول العربية والإسلامية إلى دويلات صغيرة. وعلى ذلك، فإن ما يحدث الآن؛ هو تحقيق وتنفيذ للمخطط الاستعماري، الذي خططته، وصاغته، وأعلنته الصهيونية العالمية؛ لتفتيت العالم العربي والإسلامي، وتجزئته، وتحويله إلى"فسيفساء ورقية"، يكون فيها الكيان الصهيوني السيد المطاع. ([106])

وقد رصدت الدول الغربية وإسرائيل مبالغ طائلة؛ لتمويل الجماعات الإرهابية؛ لتكون ذريعة وأساسًا في عملية التفتيت. وقد وضعت إسرائيل– بناء على الدراسات والندوات والمؤتمرات السرية والمعلنة التي عقدتها– مخططات ومشاريع مختلفة؛ للاستفادة من الأقليات في الوطن العربي والإسلامي، تقوم على إستراتيجية التفتيت والتجزئة للعالم العربي والإسلامي، إلى دويلات صغيرة، تقوم على أسس طائفية ومذهبية وعرقية. ([107])

ونرى المستشرق الصهيوني "برنارد لويس" المولود في لندن عام 1916، يضع مخططا، صُنِّف بأنه أخطر مشروع في هذا القرن، لتفتيت العالم العربي والعالم الإسلامي، من باكستان إلى المغرب، والذي نشرته وزارة الدفاع الأمريكية. وفي مقابلة

[106]) فتحي شهاب الدين: خطط "برنارد لويس" لتفتيت العالم الإسلامي، مقال منشور ضمن "خطط تفتيت المنطقة هل ستأخذ طريقها إلى التنفيذ؟، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية بمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، العدد 22، مارس، 2011، ص 5.

[107]) أحمد سعيد نوفل: دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت لبنان، ط 2، 2010، ص73.

أجرتها وكالة الإعلام مع لويس في 2005/5/20، قال: "إن العرب والمسلمين، قوم فاسدون مفسدون، فوضويون، لا يمكن تحضرهم، وإذا تركوا لأنفسهم؛ فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية، تدمر الحضارات، وتقوض المجتمعات". والمفهوم من هذا النص؛ أن هذا الرجل، يضع مبررا أساسيا مقبولا أمام العالم، لإستراتيجية التفتيت التي وضعها، وهي محاربة الإرهاب الإسلامي الأعمى، والقضاء عليه؛ حتى لا يدمر العالم. ([108])

ومن وجهة نظر "برنارد لويس" أن الحل السليم للتعامل مع العرب والمسلمين؛ هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها. وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور؛ فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية، واستعمار المنطقة؛ لتجنب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان، إنه من الضروري؛ إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية، إلى وحدات عشائرية، وطائفية، ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك؛ إما أن نضعهم تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمروا حضارتنا، ولا مانع عند إعادة احتلالهم؛ أن تكون مهمتنا المعلنة؛ هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية، وخلال هذا الاستعمار الجديد، لا مانع أن تقوم أمريكا، بالضغط على قيادتهم – دول العالم العربي والإسلامي – دون مجاملة، ولا لين، ولا هوادة؛ ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الإسلامية الفاسدة.([109])

وعلى ذلك، جاء المشروع الصهيوني الأمريكي العالمي؛ لتقسيم العالم العربي والإسلامي، حيث وجدت إسرائيل والدول الغربية، أن لبنان هي الحلقة الأضعف بين دول العالم العربي والإسلامي؛ وبالتالي حاولت إقامة دولة مسيحية دينية موالية لها، أو بالأحرى، محاولة تفتيت لبنان، إلى دويلات صغيرة قائمة على الدين؛ لإضعافه، ناهيك عن اهتمام إسرائيل والغرب؛ بإضعاف سورية، والعراق؛ عن طريق افتعال فتن

[108]) فتحي شهاب، مرجع سابق، ص 7.
[109]) المرجع نفسه، ص8.

طائفية ومذهبية، تكون نتيجتها؛ تفتيت العراق وسورية، إلى دويلات صغيرة، فيما أطلقوا عليه الهلال الخصيب. ([110])

ولقد تبنت إسرائيل- بمباركة أمريكية- بعض الخطط؛ لتصدير بعض المشاكل لدول حوض النيل، منها مصر والسودان- على سبيل المثال- إقامة سدود على منابع النيل، سواء في إثيوبيا، أو في جنوب السودان التي دعمت – إسرائيل – استقلالها عن السودان الأم، في خطة محكمة؛ للضغط على مصر والسودان؛ لتحويل ماء النيل إليها، وإلا تفتيت الدولة السودانية. ([111])

وإذا كانت إسرائيل والغرب، قد نجحوا في تصدير أزمة سد النهضة الإثيوبي إلى مصر والسودان وتقسيم السودان إلى دولة جنوب السودان والسودان؛ فإننا ندعو الله ألا تتحقق خطتهم، تجاه تقسيم مصر إلى أربع دويلات، تكون كالآتي:

1- سيناء وشرق الدلتا تحت النفوذ اليهودي؛ لتحقيق الحلم الصهيوني من النيل إلى الفرات.

2- الدولة النصرانية (المسيحية)، وعاصمتها الإسكندرية.

3- الدولة النوبية وعاصمتها أسوان.

4- مصر الإسلامية وعاصمتها القاهرة. ([112])

وهنا، لابد أن ننتبه إلى خطورة التأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة عند الجماعات الإرهابية، والتي كان وسيكون لها آثار تدميرية على الأمة العربية والإسلامية.

رابعا: ربط الإسلام بالإرهاب ومناهضة العالم لكل ما هو إسلامي (قيام منظمات إرهابية: داعش)

[110]) عامر خليل أحمد عامر: السياسة الخارجية لإسرائيل تجاه إفريقيا "السودان نموذجا"، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 90.

[111]) المرجع نفسه، ص 18.

[112]) فتحي شهاب الدين، مرجع سابق، ص10.

كان قيام تنظيم دولة الخلافة الإسلامية في العراق والشام، تحت ما يسمى بـ"داعش"، نقطة تحول في تاريخ الإسلام السياسي والجماعات الجهادية المختلفة؛ حيث أثار تنظيم الدولة الإسلامية كثيرًا من الجدل والتساؤلات حول العالم، وذلك بعد سيطرته على مدينة الموصل في يونيو من العام 2014 ،حول قدرته الإعلامية، والعسكرية، والاقتصادية، وأيديولوجيته، ومسقبله، وكيفية القضاء عليه، وما سبب عدواته مع الكل، ووحشيته، ودمويته، وتصرفاته الغريبة، التي لا تمت إلى الإسلام الحنيف وتعاليمه بأية صله سوى الاسم، وذلك تحت شعار رنان، يعدُّ سندا تاريخيا قويا، وهو محاولة إقامة دولة الخلافة الإسلامية كما كانت في فجر الإسلام.([113])

ومن البديهي أن نعي، أن منظومة فكر الدولة الإسلامية، لا يخرج عن منظومة فكرة الجهاد العالمي الذي يقوم بالتبعية على أصول وفروع، فالأصل الأصيل الذي تجمع عليه كافة التنظيمات، يتلخص في شعار واحد فقط، وجدناه تاريخيا عند الخوارج، في واقعة التحكيم، وهذا الشعار هو "تحكيم شرع الله" والجديد الذي يقدمه جميع التنظيمات الجهادية بلا استثناء، هو إقامة الحكم الإسلامي، المتمثل في الخلافة، أو دولة الخلافة الإسلامية. وهذا الجديد لدى هذه التنظيمات، لم ولن يتحقق إلا تحت راية الجهاد المصطنع. فالسؤال هو ضد من أجاهد؟ ولمصلحة من؟ وما هو العائد عليَّ من هذا الجهاد؟ ناهيك أن فتاوى هذه التنظيمات مجتمعة في الجهاد، ليس

[113]) أحمد عبد الرحمن مصطفى: داعش من الزنزانة إلى الخلافة، أكتوبر 2015، (المقدمة)، ص4. مستل من https://www.4readlib.com/download/2557/%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%86%D8%B2%D8%A7%D9%86%D8%A9-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A9

وأيضا:

Patrick Cockburn, The rise of Islamic State “ISIS” and the new sunni Revolution, Review by: Kashif Mumtaz, Institute of Strategic Studies Islamabbad, Vol 35, 2015, P:2

لها مرجعية فقهية شرعية – مثل الأزهر الشريف أو دار الإفتاء المصرية – يتم الاطمئنان إليها وإلى فتواها. ([114])

فما تنظيم الدولة الإسلامية؟ هوعبارة عن جماعة إرهابية متمردة هجينة، ليس لها جذور، إنها قوة متمردة واسعة النطاق، وشبه تقليدية، استولت على مساحة كبيرة من حكومتي العراق، وسوريا، بالإضافة إلى كونها منظمة إرهابية دولية، تشجع على القيام بهجمات، وعمليات سرية في جميع أنحاء العالم، أو تشنها بذاتها بصورة علنية، دون مراعاة للون، أو دين، أو عرق. ومنذ عام 2016، يتولى قيادة التنظيم "أبو بكر البغدادي"؛ بقصد بناء الخلافة الإسلامية، التي تمتد عبر جزء كبير من الشرق الأوسط، وتوسيع رقعتها بأي طريقة، مهما كانت شرعية هذه الطريقة من عدمها، المهم هو الوصول إلى الهدف، وإقامة دولة الخلافة المزعومة في تأويلاتهم. ([115])

وعلى ذلك، أصبح تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" نموذجا للوعي الشعبي السلبي، ولحالة المجتمعات العربية والإسلامية، القابعة في أمجاد الخلافة البالية، وعلى ذلك، أصبح هذا التنظيم "نموذجا"، يجب أن يحتذى به في جميع الأقطار الإسلامية، ولا عجب أن رأينا جماعات إسلامية جهادية في بعض الأقطار –منها مصر وليبيا واليمن وغيرهم– يحاولون استنساخ هذا النظام الجديد، وساعدهم في ذلك؛ استفحال الأزمة السياسية في تلك الدول وغيرها، ولم تقدم الحكومات حلًّا سلميًّا، يرضي جميع الأطياف، ولا يقصي فصيلًا لحساب فصيل آخر، ناهيك عن الأزمة السلطوية العربية، التي مازالت قائمة، وفي ظل هذه الظروف المأساوية لمعظم الحكومات العربية؛ نجد التربة صالحة لظهور طيور الظلام؛ حيث الفرصة سانحة لهم للنمو، والصعود، والتكيف مع الضغوط، والظروف المختلفة، وإذا ما ضيق عليهم الخناق في

---

[114]) معتز الخطيب: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، ص 25

[115]) بن كونوبال، ناتاشا لاندر، كيمبرلي جاكسون: التغلب على تنظيم الدولة الإسلامية: اختيار إستراتيجية جديدة للعراق، مؤسسة RAND سانتا مونيكا، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2017، ص 7. وأيضا:
Jay Sekulow, Rise of ISIS: Athreate We can't Ignore, P: 7

مكـان؛ فسـوف تنتقـل هـذه الجماعـات فـي أمـاكن أخـرى صـالحة لفكـرهم وتقبـل تأويلاتهم.([116])

باتت نظرية الجهاد والقوة التي تتبناها معظم الجماعات الجهادية الإسلامية، من أهم الركائز الفكرية التي تم تأويلها وفق منهج هذه الجماعات، التي تؤمن بضرورة إقامة الخلافة الإسلامية، وترفض الاعتراف بالحدود بين الدول الإسلامية، وتسعى– جاهدة– إلى تحقيق الوحدة الإسلامية الكاملة، التي تضم جميع دول العالم الإسلامي، تحت راية واحدة جامعة للمسلمين، هي راية الخلافة؛ حيث يتم تنصيب الخليفة وفقا لقواعد الفقه الإسلامي، القائم على مبدأ البيعة والشورى، وتنتهج الجماعات الجهادية، أسلوب القوة، والعنف، وسفك الدماء؛ لتحقيق مشروعها التاريخي.([117])

ومهما كان اسم التنظيم أو أيديولوجيته الفقهية، فإن أغلب التنظيمات الجهادية، تتبع منهج الإرهاب؛ للوصول إلى أهدافهم، ومن هذه الحيثية، فإن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في العراق والشام، بات يسيطر على المشهد السياسي والعسكري في تلك المناطق، وأصبح يشكل تهديدا واضحا لبعض الدول الأخرى، وجاءت فرنسا في مقدمة الدول التي طالتها عمليات التنظيم؛ حيث عرفت العاصمة الفرنسية باريس في الثالث عشر من نوفمبر 2015م سلسلة هجمات دموية متزامنة في ستة مواقع مختلفة، أسفرت عن مقتل حوالي 129 شخصا تقريبا، وإصابة 352 شخصا، ولحقتها هجمات أخرى، طالت كلًّا من تركيا وبلجيكا، ومن الواضح أن الإرهاب، لا دين له، ولا ملة له، ولا مرجعية له فهو لم يفرق بين دولة فرنسا المسيحية، ودولة تركيا المسلمة.([118])

---

[116]) معتز الخطيب وآخرون: تنظيم الدولة الإسلامية "النشأة والتأثير والمستقبل، (المقدمة) ص 16

[117]) كايد كريم الركيبات: نظريات إقامة الخلافة في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الأيام، عمان، الأردن، ط1، 2017، (المقدمة) ص 12.

[118]) معتز الخطيب وآخرون: تنظيم الدولة الإسلامية، (المقدمة) ص 15.

يستطيع التنظيم– في الغالب– تمويل عملياته الخاصة؛ من خلال مزيج من عائدات النفط المستحوذ عليها بصورة وحشية، وكذلك فرض الضرائب الباهظة على ساكني الأماكن التي تحت سيطرته، ناهيك عن عمليات السرقة والابتزاز، التي لم ينزل الله بها من سلطان، ومن جهه أخرى، يعمل التنظيم على توسيع ووجوده؛ من خلال الوجود المباشر في أماكن أخرى، مثل مصر، وليبيا، ومن خلال أربعين جماعة فرعية، بداية من أفغانستان إلى أندونيسيا، ومن نيجيريا إلى روسيا، يتعاملون مع التنظيم؛ على أنه دولة مستقلة ذات سيادة. ([119])

اهتم التنظيم بالشكل التاريخي، والنموذج العملي للبيعة، ومن هذه الحيثية، تمت مبايعة إبراهيم بن عواد ابن إبراهيم بن علي بن محمد البدري القرشي الهاشمي الحسيني نسبا، والمولود في العراق عام 1971 خليفة للمسلمين، من قبل أهل الحل والعقد، فيما كان يعرف بالدولة الإسلامية في العراق والشام، وكان هذا الإعلان؛ بداية النهاية، لما يعرف بتنظيم قاعدة الجهاد، وبزوغ نجم التنظيم الجديد "داعش"، بقوة لم يشهدها العالم من قبل، على مسرح الإسلام السياسي طوال التاريخ الحديث والمعاصر. ([120])

وعقب الإعلان عن قيام الخلافة الإسلامية، وتنصيب الخليفة إبراهيم بن عواد "أبو بكر البغدادي" وقبوله للبيعة؛ صار واجبا على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، مبايعة ونصرة هذا الخليفة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تبطل شرعية جميع

[119]) بن كونوبال، ناتاشا لاندر، كيمبرلي جاكسون: التغلب على تنظيم الدولة الإسلامية، ص 8. وأيضا:
Stephen M. Walt, ISIS as, Revolutionary, State, New Twist on an Old Story, THE POST-AMERICAN MIDDLE EAST, An Essay published in November/December 2015,P:42. From Site:
https://heinonline.org/HOL/LandingPage?handle=hein.journals/fora94&div=135&id=&page=

[120]) أحمد عبد الرحمن مصطفى: داعش من الزنزانة إلى الخلافة، ص4. وأيضا
Hassan Hassan & Michael Weiss, ISIS: Inside the Army of Terror, Regan Arts, New York, First Edition, 2015, P:112

الإمارات، والجماعات، والولايات، والتنظيمات التي تعيش تحت سلطانه ويصلها جنده. ([121])

وقد توالت البيعات للتنظيم، بعد إعلان الخلافة الإسلامية، ومن المفارقات العجيبة؛ أن تكون أولى البيعات؛ بيعة جماعة أنصار بيت المقدس، وهي جماعة مسلحة، استوطنت في سيناء، وأعلنت أنها تقاتل العدو الصهيوني، وهذا هدف نبيل، ومعلن للجميع؛ حين يقف عند هذا الحد، إلا أن الحقيقة، أن هذه الجماعة، قد استهدفت الجيش المصري، والشرطة المصرية، والشعب المصري، من النساء، والأطفال والشيوخ بصورة وحشية، لا تنم عن أن لهذه الجماعة أية مرجعية إسلامية، وإنما تنفذ أجندات دولية، ضد بلاد الإسلام والمسلمين. ([122])

وتوالت البيعات أيضا من المغرب الأفريقي؛ حيث باتت ليبيا ثالث أكبر معاقل تنظيم الدولة الإسلامية بعد العراق وسوريا؛ حيث يعتبر وجوده هناك –بغض النظر عن حجمه الحقيقي– خادما أساسيا لقيام دولة الخلافة الإسلامية، التي لا يمكن أن يقتصر وجودها وشرعيتها على بلاد المشرق فقط، وتعتبر البيئة في ليبيا صالحة؛ حيث يجد التنظيم المعادلة المناسبة، لنشاطه، وتمدده، ونموه؛ حيث يكتسب كل يوم أرضًا جديدة؛ وذلك نتيجة منطقية للحالة الأمنية المتردية، وحالة غياب الدولة الليبية، ناهيك عن التصارع الشرس على السلطة، الذي يدفع ثمنه الشعب الليبي الأعزل.([123])

والمتابع لتنظيم دولة الخلافة في العراق والشام، وفي جميع الأقطار الإسلامية التي انتشر فيها هذا التنظيم؛ يجد أن هناك سمات مشتركة، يشتركون فيها جميعا، بغض النظر عن اللغة، أو المكان، أو الجنسية ومن أبرز هذه السمات: الكذب؛ فهم

---

[121]) أحمد عبد الرحمن مصطفى: داعش من الزنزانة إلى الخلافة، ص 67.

[122]) المرجع نفسه، ص 71.

[123]) كمال القصير: تنظيم الدولة في ليبيا: تمدد عبر خيوط الأزمة السياسية بحث ضمن كتاب تنظيم الدولة الإسلامية، ص 133.

لا يترددون لحظة في أن يكذبوا على الله، ورسوله، ويحاولون تأويل بعض الكتاب والسنة؛ لخدمة أهدافهم السياسية، وطالما وجد الكذب؛ فقد وجد الجهل، بما أنزل الله ورسوله، ناهيك عن القتل بغير الحق، ونشر الإرهاب بين معظم الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية وإلصاق تهمة الكفر، بكل من يحاول كشف جهلهم أو أكاذيبهم.([124])

والعاقل الذي يفهم دينه، ينبغي ألَّا يتعامل مع تأويلاتهم، وانحرافاتهم الخطيرة في المعتقد والعمل. لقد عزف هذا التنظيم، على أخطر قضية تمس وجدان المسلمين من الأعماق، وهي إقامة دولة الخلافة والعودة إلى أمجاد الأمة في الماضي، لكن نسي هؤلاء– أو تناسوا– أن هذه التأويلات لم ينزل الله بها من سلطان، وأن محاولة إحياء الخلافة في عصرنا المعاصر؛ سوف تكون نهايتها الفشل؛ وذلك لاختلاف اللغة بين دول العالم الإسلامي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، نجد العوامل الاقتصادية؛ حيث تتفاوت القدرات الاقتصادية للدول الإسلامية، بين معدم، وفقير، ومتوسط، وغني، أضف إلى ذلك تفاوت القوى العسكرية للدول الإسلامية، وأخيرا فإن القوى العالمية الكبرى، لن تسمح بإقامة مثل هذا الكيان. وعلى الرغم من ذلك، فإن الجماعات الجهادية الإرهابية، يصرون على إراقة الدماء باسم الدين للوصول إلى أهدافهم المزعومة.

[124]) أبو عبد الله محمد منصور: الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، ص 8 مستل من https://ketabonline.com/ar/books/106120

نتائج الدراسة:

بنهاية البحث، توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

أولا: جاء مفهوم الخلافة في القرآن على معنى الإعمار، والسعي، والإنابة، ولم يتطرق إلى أن الخلافة معناها الحكم، أو السلطان، أو الملك، أو الإمارة، وعندما أراد أن يتحدث عن الحكم؛ جاء بلفظ الملك مباشرة؛ بما يفيد أن مفهوم الخلافة منتج بشري في المقام الأول، وليس إلهيا.

ثانيا: تم تأويل مفهوم الخلافة سياسيا بالدرجة الأولى؛ استنادا على تأويل الآية الكريمة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)؛ حيث عدَّها معظم المذاهب والجماعات، حجر الزاوية، والأصل في تنصيب إمام أو خليفة.

ثالثا: تكمن خطورة منهج "التنزيل" و"التأصيل"؛ في أنه يؤدي إلى تحريف النص عن سياقه، ويتم توظيفه بصورة، تقود إلى غير ما أنزل فيه، وبما يجعل تأويله مغايرا تماما لمعناه الأصلي، الذي يهدف إلى تحقيق مصالح العباد.

رابعا: تعد فكرة الولاية، هي المحور الأساسي، الذي ارتكزت عليه فلسفة المذهب الشيعي في الحكم، سواء في بداية ظهور المذهب الشيعي زمن الرسول – عليه الصلاة والسلام – وحتى عصرنا الحاضر.

خامسا: تمثل آراء المولى أحمد النراقي، مرحلة التأصيل الحقيقي لنظرية ولاية الفقيه في الفكر الشيعي مستندا إلى الأدلة النقلية والعقلية على صحة النظرية.

سادسا: تطور مفهوم ولاية الفقيه في عهد الإمام الخميني، وبعد قيام الثورة ضد الشاه رضا بهلوي؛ حيث أقر بأن الفقيه الحائز على صفتي العلم بالقانون والعدل؛ يتولى نفس صلاحيات النبي، والإمام المعصوم في عصر الغيبة؛ بما يفيد دخول نظرية ولاية الفقيه، إلى حيز التنفيذ العملي، وإلغاء فكرة التقية والانتظار؛ مما أدى إلى خلق أزمة أيديولوجية في الفكر السياسي الشيعي؛ بأنه ليس هناك حاجة إلى

المهدي المنتظر، طالما أنه يمكن أن يقوم أحد مكانه، وهو الولي الفقيه. أي أنها أدت؛ إلى انهيار نظرية عودة الإمام الغائب.

سابعا: كان لانهيار الخلافة العثمانية مارس 1924؛ بالغ الأثر في فقدان المرجعية الكبرى للمسلمين السنة، وحاولت جماعه الإخوان المسلمين عام 1928؛ أن تحل محلها، وتحاول إقامة دولة الخلافة بقيادة مرشدها الأول حسن البنا.

ثامنا: أدت التأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة عند حسن البنا؛ إلى رفع الخلافة، إلى أن تكون ركنا أساسيا من أركان الإسلام، تماما مثلما فعل المذهب الشيعي.

تاسعا: الغاية الأساسية والنهائية عند سيد قطب؛ هي إقامة دولة الخلافة؛ عن طريق هدم جميع النظم المناقضة لمبادئ الإسلام، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام، حتى لو اضطرت الأمة إلى إحداث انقلاب ثوري شامل.

عاشرا: خرجت معظم الجماعات الجهادية المسلحة، من عباءة الإخوان المسلمين، وكان لآراء سيد قطب حول تكفير المجتمع، ووصفه بالجاهلي أثر سلبي على فكر هذه الجماعات المسلحة ورؤاها.

حادي عشر: تعدُّ السياسة من أهم مفاهيم الجماعات الجهادية، ولازمة من لوازمها؛ لدرجة أنها تعدُّ شرطًا وجوديًّا لهذه الجماعات، فجميع الجماعات الجهادية، اتفقت على هدف سياسي واحد، باعتباره مبررًا لوجودها، وهو إقامة دولة الخلافة.

ثاني عشر: يؤول الإخوان آية (إِنِ الحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) تأويلا خاطئا؛ إذ يعتبرون أن حكم الله وسلطانه، إنما يعني في السياسة حكم الأمة الإسلامية وسلطانها، فالإنسان خليفة الله في إعمار الأرض؛ وبالتالي لا بد من نظام سياسي، يحكم الأمة، ويراعي مصالحها، ومن هنا لا يوجد تناقض، في أن يكون الحكم لله، وأن تكون السلطة السياسية، والحكم في المجتمع الإسلامي للأمة.

ثالث عشر: كان للتأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة (الولاية) آثارٌ سلبية كبيرة، منها– على سبيل المثال– انتشار الأفكار الرجعية، مثل (نظرية الحاكمية لله)، وكذلك تشويه

صورة الإسلام السمحة، وكذلك أيضا تفتيت الدول العربية والإسلامية، وأخيرا ربط الإسلام بالإرهاب، ومناهضة العالم لكل ما هو إسلامي (نموذج داعش).

رابع عشر: يعدُّ قيام دولة الخلافة الإسلامية في العراق والشام "داعش"؛ نتيجة منطقية – على أرض الواقع – للتأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة، ونقطة تحول في تاريخ الإسلام السياسي، والجماعات الجهادية المختلفة، وقد أمكن القضاء عليها، ولم يعد لها وجود شرعي، بعد مقتل الخليفة أبي بكر البغدادي.

خامس عشر: يعدُّ الإرهاب، هو منهج جميع الجماعات الجهادية، على مر تاريخ الإسلام السياسي، ومن هنا ذاقت الشعوب مرارته، وتم سفك الدماء، وتشريد النساء والأطفال والشيوخ، تحت ما يسمى إقامة دولة الخلافة المزعومة. وهو من الآثار السلبية للتأويلات الخاطئة لمفهوم الخلافة (الولاية).

المصادروالمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية:

1- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج1، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإمارة، باب إذا بويع لخليفتين، حديث رقم: 1853دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991.

2- أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج1، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بمشاركة محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006.

3- أبو عبد الله محمد منصور: الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، مستل من:
https://ketabonline.com/ar/books/106120

4- أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي السني نحو خلافة ديمقراطية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2008.

5-أحمد داود أوغلو: العمق الإستراتيجي "موقع تركيا ودورها في السياسة الدولية"، ترجمة: محمد جابر تلجي، وطارق عبد الجليل، مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للنشر، ط2، 2011.

6- أحمد سعيد نوفل: دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت لبنان، ط 2، 2010.

7- أحمد عبد الرحمن مصطفى: داعش من الزنزانة إلى الخلافة، أكتوبر 2015، مستل من:
https://www.4readlib.com/download/2557/%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%86%D8%B2%D8%A7%D9%86%D8%A

9-%D8%A5%D9%84%D9%89-
%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A9

8- الإمام المجاهد السيد روح الله الخميني: الحكومة الإسلامية "دروس فقهيه تحت عنوان ولاية الفقيه"، ط 3، 1339هـ، مستل من:

http://alfeker.net/library.php?id=1162

9- الإمام محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006.

10- أنور قاسم الخضري: حزب الله من النصر إلى القصر "قراءة في إستراتيجية حزب الله"، منصور للطباعة، القاهرة، ط1، 2007.

11- بن كونوبال، ناتاشا لاندر، كيمبرلي جاكسون: التغلب على تنظيم الدولة الإسلامية: اختيار إستراتيجية جديدة للعراق، مؤسسة RAND سانتا مونيكا، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2017.

12- تصريح آية الله العظمى حسين المنتظري لصحيفه الشرق الأوسط 19 /11 /1997.

13- تقرير لجنة التحقيق الدولية المستقلة المعنية بالجمهورية العربية السورية، حكم الرُعب: الحياة في ظل الدولة الإسلامية في العراق والشام في سوريا، الأمم التحدة، نوفمبر 2014 مستل من:

https://www.ohchr.org/sites/default/files/Documents/HRBodies/HRCouncil/CoISyria/HRC_CRP_ISIS_14Nov2014_AR.pdf

14- ثابت العمور: مستقبل المقاومة الإسلامية "حركة حماس نموذجا"، مركز الإسلام العربي، ط2، 2009.

15- جلال الدين علي الصغير: الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم "ع"، دراسه نقدية لأفكار تنكرت لهويتها فضلت السبيل، دار الأعراف للدراسات، بيروت، طبعة ثانية مزيدة ومنقحة، 1998.

16- جميل حمداوي: الحركات الإسلامية وسلاح التكفير، ط1، 2016 مستل من:
http://www.averroesuniversity.org/AUH0000024.pdf

17-الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ج1، ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1997.

18- حسن البنا: مجموعة رسائل حسن البنا، دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، 1988.

19- حسن الهضيبي: دعاة لا قضاة، الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت، ط1، 1405 هـ.

20- خالد البحيري: عربي من لبنان حسن نصر الله، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 2006.

21- سعيد حوى: في آفاق التعليم "دراسة في آفاق دعوة حسن البنا ونظرية الحركة فيها من خلال رسالة التعليم"، مكتبة وهبة، القاهرة، 1980.

22- سيد قطب: في ظلال القرآن، مجموعة أجزاء، دار الشروق، القاهرة، 2013.

23-ـــــــــ: لماذا أعدموننني، الشركة العربية للأبحاث والنشر، الرياض، 1990.

24-ـــــــــ: معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1979.

25- السيد محمد مصطفوي: نظريات الحكم والدولة "دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدستوري الوضعي، معهد الرسول الأكرم العالمي للشريعة والدراسات الإسلامية، 2002.

26- صلاح الدين محمد نوار: نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني، منشأه المعارف، الإسكندرية، 1996.

27- عامر خليل أحمد عامر: السياسة الخارجية لإسرائيل تجاه إفريقيا "السودان نموذجا"، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

28- عبد الباسط سلامة هيكل: مفهوم الخلافة في القرآن الكريم وسلطة المفسر، بحث منشور على موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود، مؤسسه دراسات وأبحاث، بحث عام، قسم الدراسات الدينية، 21 يونيو 2016.
29- عبد الرحمن محمد النعيمي: الصراع على الخليج العربي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1994.
30- عبد الغني عماد: الإسلاميون بين الثورة والدولة "إشكالية إنتاج النموذج وبناء الخطاب" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013.
31-عبد القادر طاش: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، الزهراء للإعلام الغربي، القاهرة، ط2، 1993.
32- علي الوصيفي: سر الجماعة، دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012.
33- علي بن عبد العزيز بن عيل الشبل: الجلذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، مستل من:
https://d1.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single/ar_The_historical_roots_of_the_truth_of_extremism_terrorism_and_violence.pdf
34-على شريعتي: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ترجمة: حيدر مجيد، تقديم: إبراهيم الدسوقي شتا، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط2، 2002.
35- علي محمد الشرفاء الحمادي: المسلمون بين الخطاب الديني والخطاب الإلهي، النخبة للطباعة والنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط3، 2018.
36 -فتحي شهاب الدين: خطط "برنارد لويس" لتفتيت العالم الإسلامي، مقال منشور ضمن "خطط تفتيت المنطقة هل ستأخذ طريقها إلى التنفيذ؟، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية بمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، العدد 22، مارس، 2011.

37- فخر أبو عواد: الإخوان المسلمون: الانتشار العالمي ومفهوم البيعة والولاء، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ط1، 2014.

38- فرح موسى: رسالة في الولايات السياسية "مقاربات نظرية بين الفقه والفلسفة، دار الهادي، بيروت، 2000.

39- قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين العامة، دار الأنصار، القاهرة، 1945.

40- كايد كريم الركيبات: نظريات إقامة الخلافة في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الأيام، عمان، الأردن، ط1، 2017.

41- مجله قضايا إسلامية معاصرة، حوار مع الشيخ عباس حميد علي زنجاني، العدد الثاني 1998.

42- محمد العامودي وآخرون: الشيخ الجليل محمد حسن شمعة، مؤسسة إبداع للأبحاث والدراسات، ط1، 2012.

43- محمد باكر الصدر: بحوث حول الولاية، مكتبة النجاح، طهران، ط2، 1982.

44- محمد بن مكي الجزيني: اللغة الدمشقية، مستل من:

https://alfeker.net/library.php?id=4422

45- محمد حسين الطبطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص ص 115، 116 مستل من:

https://madrasatalwahy.org/Document/Book/Details/10113/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%B2%D8%A7%D9%86-%D8%AC1?page=116.

46- محمد عمارة: الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1988.

47- مصطفى حلمي: نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.
48- مصطفى مشهور: الدعوة الفردية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1981.
49- معتز الخطيب: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، بحث ضمن كتاب "تنظيم الدولة الإسلامية"، تحرير: فاطمة الضمادي، الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، ط1، 2006.
50- المولى أحمد النراقي: عوائد الأيام في بيان قواعد استنباط الأحكام، ج2، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2000.
51- النساء في داعش: تفكيك الديناميات المعقدة بين الجنسين في دعاية داعش للتجنيد، فبراير 2017. مركز كارتر، مستل من:
https://www.cartercenter.org/resources/pdfs/peace/conflict_resolution/countering-isis/women-in-daesh-report_final_arabic.pdf

52- نبيل سويلمان: قواعد جديدة للعبة: إسرائيل: حزب الله بعد الانسحاب من لبنان، ترجمة عماد فوزي شعيبي، الدار العربية للعلوم، 2004.
53- نزيه ت. الأيوبي: الإسلام السياسي "الدين والدولة في العالم العربي" ترجمة: محمد كمال، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2020.

ثانيا: المراجع الأجنبية

1- G udrun Kramer, Hassan al-Banna, Oxford, London, 2010.
2- Hassan Hassan & Michael Weiss, ISIS: Inside the Army of Terror, Regan Arts, New York, First Edition, 2015.
3- Jay Sekulow, Rise of ISIS: Athreate We can't Ignore, Howard Book, An Imprint of Simon & Schuster, Inc, New York, 2014.

4- Nader Albert : La systeme philosophique des mu'tazila ,Paris, 1956.
5- Patrick Cockburn, The rise of Islamic State “ISIS” and the new Sunni Revolution, Review by: Kashif Mumtaz, Institute of Strategic Studies Islamabbad, Vol 35, 2015.
6- S ayyed Hussein Nasr & Oliver Leaman: History of Islamic Philosophy, London & New York, Part 11.
7- Stephen M. Walt, ISIS as, Revolutionary, State, New Twist on an Old Story, THE POST-AMERICAN MIDDLE EAST, An Essay published in November/December 2015. From Site: https://heinonline.org/HOL/LandingPage?handle=hein.journals/fora94&div=135&id=&page=